حين يثمر العلم



د. أحمد بن محمد رفيع

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبدالعزيز

دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

حين يثمر العلم

ح دار طيبة الخضراء ، 1447هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
رفيع ، أحمد محمد حسين
حين يثمر العلم
أحمد محمد حسين رفيع - ط1 - مكة المكرمة ، 1447 هـ
194 ص؛ 17×24 سم

رقم الإيداع: 1447/6939
ردمك: 978-603-8520-62-8

الطبعة الأولى
(1447هـ - 2025م)

دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

يمكنكم طلب الكتب عبر
متجرنـا الإلكتروني
حيثما كنت يصلك طلبك

dar.taibagreen123
dar.taiba
@dar_tg
dar_tg
dartaibagreen@gmail.com
yyy.01@hotmail.com
012 556 2986
055 042 8992
مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

حين يثمر العلم

د. أحمد بن محمد رفيع
عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبدالعزيز

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فقد امتن الله سبحانه على عباده المؤمنين ببعثة النبي ﷺ، وجعله مزكيًا ومعلمًا لهم، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] وما أحوج طالب العلم إلى تزكية قلبه حتى ينتفع بعلمه؛ ولذا حاولت جاهدًا التأليف في التزكية والعلم، مع اعترافي بالعجز والتقصير عن تلك المسالك؛ حرصًا على إفادة نفسي أولًا وتقويمها، ثم نفع إخواني المسلمين. وقد طبعتُ هذه الرسائل ونشرتها مفرقةً، ورأيتُ أن أعيد طباعتها في كتاب واحد؛ بغية تسهيل الإفادة منها، وهي على النحو الآتي:

(١) العلم النافع.

(٢) ذلك رب العالمين.

(٣) ذكرى الدار.

(٤) زكاة العلم.

(٥) معالم الإنجاز البحثي.

(٦) بث العلم.

(٧) متن المشوق إلى الدعوة.

فحين يثمر العلم ينتفع به صاحبه؛ بالعمل ونشره، وحين يثمر العلم يعرف العبد ربه ويخشاه، وحين يثمر العلم يتذكر المرء الآخرة، ويستعد لها، وحين يثمر العلم يزكيه المرء بنشره؛ بالتعليم والبحوث والمؤلفات وغير ذلك من وسائل النشر، والله أسأل أن يتقبل هذه الرسائل، وأن يجعلها من العلم الذي يُنتفع به بعد الممات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتبه
د. أحمد بن محمد رفيع
Arfie.1993@gmail.com

العلم النافع

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم، أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة، تحدوك يا طالب العلم إلى طلب العلم النافع، والعمل به، ونشره؛ فدين الإسلام دين علم وعمل ودعوة، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣]؛ فالمراتب أربع، (وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله، إحداها: معرفة الحق، الثانية: عمله به، الثالثة: تعليمه من لا يحسنه، الرابعة: صبره على تعلمه، والعمل به، وتعليمه)[(١)]، رزقني الله وإياك العلم النافع والعمل الصالح، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٢).

حقيقة العلم النافع

يا طالب العلم، وصية رسول الله ﷺ، اعلم بأن العلم النافع الممدوح شرعًا هو ميراث الأنبياء، المستمد من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، قال ابن تيمية رحمه الله: (جماع الخير أن يستعين بالله -سبحانه- في تلقي العلم الموروث عن النبي ﷺ فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علمًا، وما سواه إما أن يكون علمًا فلا يكون نافعًا، وإما ألا يكون علمًا وإن سمي به)[١]. وقد تعوذ النبي عليه الصلاة والسلام من العلم الذي لا ينفع[٢].

ونفى الله العلم عمن نال زخارف العلوم الدنيوية، وغفل عن الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٦-٧]. وفي ذلك يقول الغزالي رحمه الله: (من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار؛ اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة، التي هي وسائلهم إلى الدنيا، وذلك هو مادة الجهل، ومنبع فساد العالم)[٣]. فاستحضر نعمة الله وفضله عليك إذ خصّك به دونهم، وأكثر من شكره -سبحانه-: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

والعلم النافع هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك، ويقلل من رغبتك في الدنيا،

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٤).
(٢) انظر: صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٨).
(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٦٩).

ويزيد في رغبتك في الآخرة، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها، ويطلعك على مكايد الشيطان وغروره)[١]. وهو ليس (بكثرة الرواية، ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب، يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل)[٢].

واعلم -رحمك الله- بأن غاية العلم النافع التعبد لله تعالى، وإرادة الآخرة، قال الشاطبي رحمه الله: (كل علم شرعي فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى، لا من جهة أخرى، فإن ظهر فيه اعتبار جهة أخرى؛ فبالتبع والقصد الثاني، لا بالقصد الأول)[٣].

وقد وقع الانحراف عن حقيقة العلم النافع مبكرًا، فهذا حماد بن زيد يقول لأيوب السختياني رحمهما الله: (العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟ فقال: الكلام اليوم أكثر، والعلم فيما تقدم أكثر)[٤]. ويزداد الخرق اتساعا فيقول الغزالي رحمه الله: (كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة... وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء، سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية)[٥]. وهذا ابن الجوزي رحمه الله يقول: (رأيت أكثر العلماء مشتغلين بصورة العلم دون فهم حقيقته ومقصوده)[٦]. حتى تطاول الزمن وانمحت آثار العلم النافع عن بعض طلبته، يقول الذهبي رحمه الله - بكل أسى وحزن -: (كذا كان - والله - أهل الحديث، العلم والعبادة، واليوم فلا علم ولا عبادة)[٧].

(١) بداية الهداية ص ٣٨.
(٢) فضل علم السلف (٣/ ٢١).
(٣) الموافقات (١/ ٧٣).
(٤) الفوائد (١/ ١٥٢).
(٥) إحياء علوم الدين (١/ ٣٣).
(٦) صيد الخاطر ص٤٤٩.
(٧) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٣٤).

فإذا كان هذا الحال في زمانهم، فكيف في زماننا؟!!

ففتّش في طريق تعلمك وتعليمك هل تسعى لهذا العلم النافع، الذي إن وجد كفى منه القليل للنجاة، أم في طريقك دخن وانحراف واعوجاج؟

العمـل بالعلـم

أوصيك يا طالب العلم أن تتمثل مقتضى العلم النافع الذي تحمله بين جنبيك؛ وإلا كان حجة عليك، فالعلم النافع بطبيعته يدعوك اضطرارًا للعمل، قال الشاطبي رحمه الله: (العلم الذي هو العلم المعتبر شرعا -أعني الذي مدح الله ورسوله ﷺ أهله على الإطلاق- هو العلم الباعث على العمل)[(١)].

وعلى هذا تربى الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم -، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[(٢)].

واعلم بأن العمل بالعلم سبب لاستحقاق الربانية، قال تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩]، قال الزمخشري رحمه الله: (كفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكدّ روحه في جمع العلم، ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل)[(٣)]. وقال ابن القيم رحمه الله: (لا يوصف العالم بكونه ربانيا حتى يكون عاملا بعلمه، معلما له)[(٤)]. وقال صديق حسن خان رحمه الله: (هذه الآية أعظم باعث لمن علم على أن يعمل)[(٥)].

فعليك أن تتمثل مقتضى العلم النافع بإصلاح القلب؛ فهو محل العلم

(١) الموافقات (١/ ٨٩).
(٢) جامع البيان (١/ ٧٤).
(٣) الكشاف (١/ ٣٧٨).
(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٥٦).
(٥) فتح البيان (٢/ ٢٧٣).

ووعاؤه، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤]؛ والخشية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨]؛ وإخبات القلب، قال تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحج:٥٤]؛ والزهد في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [القصص:٨٠]؛ والعبودية، قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]؛ واليقين، قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سبأ:٦]؛ ورقّة القلب وخشوعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

واحذر مثل السوء الذي ضربه الله لمن علم ولم يعمل، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦]، واحذر من مشابهة المغضوب عليهم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة:٥].

واعلم بأن ترك العمل بالعلم يشيع بين المتعلمين؛ فتعاهد نفسك وتفقدها، قال ابن الجوزي رحمه الله: (تأملت العلماء والمتعلمين، فرأيت القليل من المتعلمين عليه أمارة النجابة؛ لأن أمارة النجابة طلب العلم للعمل به)[١]. وقال الذهبي رحمه الله: (أما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل في

(١) صيد الخاطر ص٧٠.

أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل)[١].

فإذا كان هذا الحال في زمانهم، فكيف في زماننا؟!!

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ١٠٣٢).

نشـر العلـم

يا طالب العلم، إذا تعلمت العلم النافع وجب عليك زكاته، ببثه ونشره، واستفراغ الوسع في ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]. وقال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»(١). قال ابن القيم رحمه الله: (لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة، فالمبلغ عنه ساع في حصول محابه؛ فهو أقرب الناس منه، وأحبهم إليه، وهو نائبه وخليفته في أمته)(٢). وقال: (وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو)(٣).

والناشر للعلم مقتفٍ سبيل النبي ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]؛ وذلك أحسن القول، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت:٣٣]؛ وبه ينال المرء الفلاح، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

والقائمون بأمر الدين، علمًا وعملًا ودعوة، سيصطبغ بهم العلم، ويصوغ

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٧٠).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠١).
(٣) جلاء الأفهام ص٤٩٢.

نفوسهم وعقولهم وجوارحهم، قال الحسن البصري ﵀: (كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وزهده، ولسانه، وبصره)[(١)].

ويصوّر لنا البزَّار ﵀ هذا المعنى المتجسد في ابن تيمية ﵀ فيقول: (كان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره، فإنه لم يكن له مستعارا، بل كان له شعارا ودثارا)[(٢)].

وهم مثل الأرض الطيبة، التي انتفعت ونفع الله بها الناس: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[(٣)].

وقد فطن أهل العلم لشرف نشر العلم النافع «أو علم ينتفع به»[(٤)]، فهذا ابن المبارك ﵀ يقول: (لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم)[(٥)]. ويقول ابن تيمية ﵀: (بيان العلم والدين، عند الاشتباه والالتباس على الناس، أفضل ما عُبد الله به)[(٦)].

وبلغ بهم التفاني فيه مبلغًا عظيمًا، فهذا أبو عمرو ابن العلاء يقول للأصمعي ﵄: (لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٨٣).
(٢) الأعلام العلية ص٧٤٣.
(٣) صحيح البخاري (١/ ٢٧).
(٤) صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٥).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٧).
(٦) الرد على السبكي (٢/ ٦٧٨).

لفعلت)[١]. وقال الشافعي ﵀: (يا ربيع، لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك إياه)[٢]. وقال محمد بن سلام ﵀: (أنفقت في طلب العلم أربعين ألفا، وأنفقت في نشره أربعين ألفا، وليت ما أنفقته في طلبه كان في نشره)[٣]. وهذا محمد بن الحسن ﵀ (كان كثير السهر، فقيل له: لم لا تنام؟ قال: كيف أنام وقد نامت عيون المسلمين تعويلا علينا، وهم يقولون إذا وقع لنا أمر رفعناه إليه فيكشفه لنا، فإذا نمنا ففيه تضييع للدين؟)[٤].

وهذا الشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ﵀ يجلس لطلبة العلم من بعد صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء، وقد استمر على ذلك ٤١ سنة[٥]، وكانت دروس الشيخ ابن باديس ﵀ (تستغرق معظم النهار، من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء)[٦]، وكان يورّث طلابه نشر العلم، ويربيهم ويعوّدهم على (الإصلاح والدعوة إلى الله، وفي العطلة السنوية إذا أراد الطلاب أن يرجعوا إلى مناطقهم، يطلب منهم أن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله، ونشر ما تعلموه، وعند استئناف الدراسة يطلب من كل واحد أن يقدم تقريرا عما أنجزه)[٧].

واحذر كتمان العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩]، وتأمل كيف أن (ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها،

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٨).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٧٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٣٠).
(٤) صلاح الأمة (١/ ٢١٨).
(٥) انظر: تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي ص٢٦٥.
(٦) المؤتمر الخامس لجمعية علماء الجزائر ص٢٠٨.
(٧) التجربة الدعوية لابن باديس ص١٣٥.

فلعنهم اللاعنون حتى البهائم، كما أن معلم الخير يصلي عليه الله وملائكته، ويستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في جوف البحر، والطير في جو السماء)(١).

فيا طالب العلم، كيف يحلو لك الرقاد والقعود والتخلف وإخوانك يعانون الجهل بربهم ودينهم، قال الغزالي رحمه الله: (اعلم أن كل قاعد في بيته، أينما كان، فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم، وحملهم على المعروف؛ فأكثر الناس جاهلون بالشرع)(٢).

فإذا كان هذا الحال في زمانه، فكيف في زماننا؟!!

ولذا قال ابن باز رحمه الله: (عند غلبة الجهل - كحالنا - تكون الدعوة فرض عين على كل واحد، بحسب طاقته)(٣). وإياك ثم إياك أن تكون من الذين ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦]، فترك (أهل العلم لتبليغ الدين كترك أهل القتال للجهاد)(٤).

وختامًا.. فلنصدق الله تعالى.. اللهم ارزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، واستعملنا في خدمة دينك.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٨٧).
(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٤٢).
(٣) الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة ص١٦.
(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٨٧).

ذلك رب العالمين

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾

[الانفطار: ٦-٨]

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا صلاح للقلب ولا فلاح إلا في الإخلاص له وتوحيد حبه، والحمد لله الذي شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته، وأقرت له بالإلهية جميع مصنوعاته، من تسبح له السماوات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله الله رحمةً للعالمين، وحجة على الخلائق أجمعين، وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ومحبته، والقيام بحقوقه، وسد دون جنته الطرق، فلم يفتح لأحدٍ إلا من طريقه[١]، أما بعد:

فمن أعظم الأبواب الموصلة إلى الله تعالى الرسوخ في معرفته قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦] ، وذلك أعظم الغايات، وأجلّ المنن والعطايا والهبات، وأصل الدين وأشرف العلوم، قال الغزالي: (فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله ﷻ، وهو بحر لا يدرك منتهى غوره)[٢].

ومعرفة الله تعالى هي روح عبودية القلب وينبوعها، قال ابن القيم: (ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به، وخافه ورجاه، وتوكل عليه،

(١) انظر: زاد المعاد (١/ ٥).
(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٥٢).

وأناب إليه، ولهج بذكره، واشتاق إلى لقائه، واستحيا منه، وأجله وعظمه على قدر معرفته به)[١]. ومعرفته - سبحانه - سبب سعادة القلوب، وانشراح الصدور، وأنس الأرواح، قال ابن تيمية: (اللذة والفرحة والسرور، وطيب الوقت، والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه، إنما هو في معرفة الله ﷻ)[٢].

ومن أعظم صور الجهل المعاصر الجهل بالله[٣]؛ فنشأ عن ذلك الجرأة على المعاصي، والتباطؤ عن الطاعات، وهذا يدل على أن المرء (لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون المعاني؛ إذ لو عرف الله حق معرفته؛ لخشيه واتقاه، فلا يتصور أن يعرف الأسدَ عاقلٌ ثم لا يتقيه ولا يخافه)[٤].

إذا تقرر هذا فاعلم - رحمك الله - بأن معرفة الله تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس، والقسم الثاني: معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وهذه المعرفة تتحصل بالتفكر والتأمل في آيات القرآن، وآيات الله الكونية، وجماع الأمر الفقه في معاني أسمائه الحسنى[٥]. وقد رجوت بهذا الكتاب إصلاح قلبي وقلبك في طريق السير إلى الله تعالى، أسأله - سبحانه - أن يجعله من العلم الذي ينتفع به، وأن يكون ذخرًا وزلفى يوم لقائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) مدارج السالكين (٤/ ٢٨٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١).
(٣) انظر: عتبات العبودية، ص١١٦.
(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٨٩).
(٥) انظر: الفوائد (١/ ٢٤٨).

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، وجاء في الحديث: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض**»[(١)].

سبحان الذي أثنى على نفسه فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور:٣٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

تأمل خضوع المخلوقات له - سبحانه -: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣]، وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ

(١) أخرجه البخاري (٩/ ١١٦).

﴿تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء:٤٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:١٨]، وجاء في الحديث: «**مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحِلْس البالي من خشية الله تعالى**»[1]، وجاء في الحديث: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كالسلسلة على صفوان**»[2]، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [النبأ:٣٨].

وتأمل في كمال علمه - سبحانه -: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه:٧]، وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) صحيح الجامع (٢/ ١٠٢١).
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٨٠).

عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:٣٤]، وجاء في حديث موسى والخضر: «**وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**»(١).

وتأمل في عظمة كلامه - سبحانه -: قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:٢١]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢]، وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٥]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى:٥٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل:٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الرعد:٣١] أي: (لكان هذا القرآن)(٢)، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر:٢٣].

وتأمل في كمال قدرته ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٨٨).
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤١٨.

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ٩-١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، وقال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩-٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ

ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٦٠-٦٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وجاء في الحديث: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»[(١)].

وشأن العظيم أن يوحَّد في العبادة لا أن يشرك به قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤).

﴿كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ٩٥-١٠٢]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ① الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ② وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ١-٣].

كلما امتلأ قلبك بهذه المعاني؛ فوضت أمورك له - سبحانه -، كتفويض الابن العاجز أموره إلى أبيه، فهو يرى أن تدبيره له خير من تدبيره لنفسه[(١)]، **وكلما ازداد العبد معرفة بعظمة ربه؛ ازداد تعظيمًا له،** ورأى نفسه بمشهد (العجز والضعف، وأنه أعجز شيء عن حفظ نفسه وأضعف، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول إلا بربه، فيشهد قلبَه كريشة ملقاة بأرض فلاة، تسيرها الرياح يمينًا وشمالًا، ويشهد نفسه كراكب سفينة في البحر، تهيج بها الرياح وتتلاعب بها الأمواج، ترفعها تارة وتخفضها أخرى)[(٢)]، ورأى نفسه بمشهد (الذل والانكسار والخضوع والافتقار للرب ﷻ، فيشهد في كل ذرة من ذراته، الباطنة والظاهرة، ضرورة تامة، وافتقارًا تامًا إلى ربه ووليه، ومن بيده صلاحه وفلاحه، وهداه وسعادته، وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها، وإنما تدرك بالحصول، فيحصل لقلبه كسرة خاصة لا يشبهها شيء)[(٣)].

وإياك ثم إياك من عصيان العظيم ﷻ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]، وهو ﴿قَوِيٌّ شَدِيدُ

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٩٧).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٥).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٧).

﴿ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال:٥٢]، وهو ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة:٢٠٢]، وهو ﴿أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء:٨٤]، وأخذه ﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]، وعذابه ﴿هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر:٥٠].. **اللهم املأ قلوبنا تعظيمًا وإجلالًا وخشيةً لك..**

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾

معرفة الله تعالى تثمر محبته، قال الغزالي: (المقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى؛ حتى تثمر المعرفة المحبة)[١]. وقال ابن القيم: (ومن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ أحبه لا محالة)[٢]. وهذه المحبة تنشأ من مطالعة المنن والإحسان، ورؤية النعم والآلاء، وكلما سافر القلب بفكره فيها؛ ازدادت محبته وتأكدت. والله - سبحانه - دعا عباده إليه من هذا الباب، حتى إذا دخلوا منه دعوا من الباب الآخر، وهو باب الأسماء والصفات، الذي إنما يدخل منه إليه خواص عباده وأوليائه، فإذا انضم داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال؛ لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها[٣].

تأمل في نعمه - سبحانه - ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤]،

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٦).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٥٩٤).
(٣) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٦٩٠).

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ [الواقعة: ٦٣-٧٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٥-١٨]. وكلما (طالع العبد منته - سبحانه - قبل الذنب، وفي حال مواقعة الذنب، وبعد الذنب، وبره به وحلمه عنه، وإحسانه إليه؛ هاجت من قلبه لواعج محبته والشوق إلى لقائه، فإن القلوب مجبولةُ على حب من أحسن إليها، وأي إحسان أعظم من إحسان من يبارزه العبد بالمعاصي وهو يمده بنعمه، ويعامله بألطافه، ويسبل

عليه ستره)[١].

وتأمل في رحمة أرحم الراحمين ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]. وجاء في الحديث: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**»[٢]. وجاء في الحديث: «**إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها. وأخّر الله تسعا وتسعين رحمة؛ يرحم بها عباده يوم القيامة**»[٣]. وجاء في الحديث: قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلُب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا، وهي تقدر على ألا

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٨).
(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٨).

تطرحه، فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[(١)]. وجاء في الحديث: «**إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**»[(٢)].

فإذا أحب العبد ربه فإنه يشرع (أولًا في التقربات بالأعمال الظاهرة، وهي ظاهر التقرب، ثم يترقى من ذلك إلى حال التقرب، وهو الانجذاب إلى حبيبه بكليته، بروحه وقلبه، وعقله وبدنه، ثم يترقى من ذلك إلى مقام الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، فيتقرب إليه حينئذ بأعمال القلوب؛ من المحبة والإنابة والتعظيم والإجلال والخشية، فينبعث حينئذ من باطنه الجود ببذل الروح والموجود في محبة حبيبه بلا تكلف؛ فيجود بروحه ونفسه وأنفاسه وإراداته وأعماله لحبيبه حالًا لا تكلفًا)[(٣)]، ويجتمع قلبه (وهمه وسره على محبوبه ومراضيه ومراده منه، فهو عكوف القلب بكليته على الله، لا يلتفت عنه يمنة ولا يسرة، فإذا ذاقت الهمة طعم هذا الجمع؛ اتصل اشتياق صاحبها، وتأججت نيران المحبة والطلب في قلبه)[(٤)]، ولا بد من اقتران المحبة بالتعظيم؛ حتى تثمر ترك المعاصي، قال ابن القيم: (يفتش العبد قلبه فيرى نوع محبة لله، ولكن لا تحمله على ترك معاصيه، وسبب ذلك تجردها عن الإجلال والتعظيم، فما عمر القلب شيء كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه)[(٥)].

ففتش في محبوباتك، هل الله ـ سبحانه ـ هو أعظم محبوب في قلبك؟

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ

(١) أخرجه البخاري، واللفظ له (٨/ ٨)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٩).
(٢) أخرجه البخاري، واللفظ له (٩/ ١٢٥)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٨).
(٣) مدارج السالكين (٤/ ١٧٩).
(٤) المصدر السابق (٣/ ٥٠٠).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٥٩٠).

فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]. قال ابن تيمية: (يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله)[(١)]. وأمارة صدق محبتك لله اتباع نبيه ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وبهذا سيذوق العبد حلاوة الإيمان «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجدَ حلاوة الإيمان: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أَحَبّ إليه ممَّا سواهما»[(٢)].

فهذا مشروع عمر لك أن تترقى فتصير محبوبات ربك هي محبوباتك، فلا يبقى لنفسك من نفسك شيء إذ أنت عبد له حقيقة ظاهرًا وباطنًا، ويكون همك وشغلك الشاغل كيف أرضي محبوبي الأعظم في هذا الوقت بأحب الأعمال إليه، وهذا هو صاحب التعبد المطلق الذي (ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت، فمدار تعبده عليها)[(٣)]. وحينئذ يصل العبد إلى (مشهد العبودية والمحبة، والشوق إلى لقائه، والابتهاج والفرح والسرور به؛ فتقر به عينه، ويسكن إليه قلبه، وتطمئن إليه جوارحه، ويستولي ذكره على لسان محبه وقلبه، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية، وإرادة التقرب إليه ومرضاته مكان إرادة معاصيه ومساخطه، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حركاتها بالمعاصي، قد امتلأ قلبه من محبته، ولهج لسانه بذكره، وانقادت الجوارح لطاعته، فإن هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه)[(٤)]، وهذا أمر لا يصفه لسان، ولا يرسمه بنان، و(لا يعرفه إلا خواص المحبين، الذين يستقلون في حق محبوبهم جميع أعمالهم وأحوالهم

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ١٥٨).
(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢).
(٣) مدارج السالكين (١/ ١٣٦).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٥١).

وأقوالهم، فلا يرونها قط إلا بعين النقص والإزراء عليها، ويرون شأن محبوبهم أعظم وقدره أعلى من أن يرضوا نفوسهم وأعمالهم له)[(١)].

ومتى ما تمكنت محبة الله في القلب وأُشربها؛ ظهرت آثارها على الجوارح، من الجدّ في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، وخروج الدنيا من القلب، وإيثار الله على كل من سواه[(٢)]، فكيف لا تحبه بعد هذا، ويذوب قلبك ويتفطر للقائه ورؤيته شوقا ووجدا (لما علم الله ـ سبحانه ـ أن قلوب المشتاقين إليه لا تهدأ إلا بلقائه؛ ضرب لهم أجلا للقاء؛ سكنا لقلوبهم، فقال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ﴾ [العنكبوت:٥])[(٣)].

اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك، واجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ووالدينا والناس أجمعين..

(١) المصدر السابق (١/٤١٦).
(٢) انظر: التسهيل (١/١٠٦).
(٣) روضة المحبين ص٥٨٩.

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾

القلب هو محل نظر الرب ﷻ «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[(١)]، وبصلاحه يصلح الجسد «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[(٢)]، ولذا كانت عبوديته (أعظم من عبودية الجوارح وأكبر وأدوم؛ فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان)[(٣)].

والقلب بطبيعته لا بد له من متعلق يتعلق به، فإذا لم يتعلق بالله؛ بقي مضطربا لا يسكّنه شيء، قال ابن القيم: (في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه)[(٤)]. وأصل صلاحه قراءة القرآن بالتفكر، قال ابن القيم: (قراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب)[(٥)]. وهذا القلب الذي بين جنبيك لا تملك منه شيئًا ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤]،

(١) صحيح الجامع (١/ ٣٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٠)، ومسلم (٣/ ١٢١٩).
(٣) بدائع الفوائد (٣/ ١١٤٣).
(٤) مدارج السالكين (٤/ ١٧).
(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٣٦).

وهو كثير التقلب «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء»[(١)]، وهو وعاء العلم ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧]، واطمئنانه بذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وهو محل التعقل ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦]، والإخبات ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:٥٤]، والإنابة ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٣٣]، والتثبيت ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال:١١]، والوجل ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، والسكينة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٤]، والتمحيص ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وفيه يقرّ الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وهو في **المقابل** محل الزيغ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، والنفاق ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:٧٧]، والغفلة ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨]، واللهو ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:٣]، والعمى ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، والحسرة ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٦]، والخوف ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأحزاب:٢٦]، والغل ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر:١٠]، وقد يتراكم عليه الران ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]؛ فيسودّ «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها؛ نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها؛ نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا؛ فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًا، كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه»[(٢)]،

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥).
(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٢٨)

ويمـرض ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقـرة:١٠]، ويقسـو ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة:٧٤]، ويختم عليه ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة:٧]، ويطبع عليه ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأعراف:١٠٠]؛ فلا يفقه وحي الله، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ [الأنعام:٢٥]؛ وحينئذ سيشمئز من ذكـر الله ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥]، ولذا كان حال هذا القلب يوم القيامة ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ [النازعات:٨] ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ [غافر:١٨]، وجزاؤه نار كفيلة بإذابته والعياذ بالله ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ ﴾ [الهمزة: ٦-٧].

فالقلوب ثلاثة: قلب خالٍ من الإيمان، فذلك قلب مظلم القلب، الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان، لكن عليه ظلمة الشهوات، فللشيطان هناك إقبال وإدبار، الثالث: قلب محشو بالإيمان، قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، لو دنا منه الوسواس احترق به[(١)].

فمن اكتحلت بصيرته بذلك، علم بأن (صلاح القلب في أن يحصل له وبه المقصود الذي خلق له، من معرفة الله ومحبته وتعظيمه، وفساده في ضد ذلك، فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط)[(٢)]، وذلك (مما يتباين الناس فيه، ويتفاضلون تفاضلًا عظيمًا، ويقوى ذلك كلما ازداد العبد تدبرًا للقرآن، وفهمًا ومعرفة بأسماء الله وصفاته وعظمته)[(٣)]، فإذا شاهد القلب (قيومًا قاهرًا فوق عباده، مستويًا على عرشه، منفردًا بتدبير مملكته، آمرًا ناهيًا،

(١) انظر: الوابل الصيب (١/ ٥٣).
(٢) الفتاوى الكبرى (١٨/ ١٦٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/٦٠٦).

مرسلًا رسله، ومنزلًا كتبه، يرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويحب ويبغض، يرحم إذا استرحم، ويغفر إذا استغفر، ويعطي إذا سئل، ويجيب إذا دعي، ويقيل إذا استقيل، أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأعز من كل شيء، وأقدر من كل شيء، وأعلم من كل شيء، وأحكم من كل شيء... ومن هذا شاهده؛ فله سلوك وسير خاص، ليس لغيره ممن هو عن هذا في غفلة أو معرفة مجملة، فصاحب هذا الشاهد سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن، هو في واد وهم في واد»[(١)]، وهناك (يسير القلب إلى ربه أسرع من سير الرياح من مهابها، فلا يلتفت في طريقه يمينًا ولا شمالًا)[(٢)].

ولن تحل معرفة الله تعالى في القلب حتى يرتحل ما سوى الله تعالى عنه[(٣)]؛ فحجب القلب عشرة: حجاب التعطيل ونفي حقائق الأسماء والصفات، الثاني: حجاب الشرك، الثالث: حجاب البدعة القولية، الرابع: حجاب البدعة العملية، الخامس: حجاب أهل الكبائر الباطنة، السادس: حجاب أهل الكبائر الظاهرة، السابع: حجاب أهل الصغائر، الثامن: حجاب أهل التوسع في المباحات، التاسع: حجاب أهل الغفلة، العاشر: حجاب المجتهدين من السالكين المشمرين في السير عن المقصود[(٤)]. وإذا تكاثفت هذه الحجب صار القلب (كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ؛ فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه، والإنس به، والسرور بقربه فيه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك)[(٥)].

(١) مدارج السالكين (٤/ ١٥١).
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٤٧).
(٣) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ١٢٦).
(٤) انظر: مدارج السالكين (٤/ ١١١).
(٥) الداء والدواء (١/ ٤٢١).

وعلى قدر المعرفة بالله ستكون عبودية القلب، فمقصود (الأعمال كلها، ظاهرها وباطنها، إنما هو صلاح القلب وكماله، وقيامه بالعبودية)[١]، والعابد حقًّا هو الذي (جعل وظائف عبوديته قبلة قلبه ونصب عينه، يؤمها أين كانت، ويسير معها حيث سارت، قد ضرب مع كل فريق بسهم، فأين كانت العبودية وجدته هناك)[٢]، فإذا (وضع أحدهم جنبه على مضجعه، صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همه عليه، متذكرًا صفاته العلى وأسماءه الحسنى، مشاهدًا له في أسمائه وصفاته، قد تجلت على قلبه أنوارها؛ فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته، فبات جسمه في فراشه يتجافى عن مضجعه، وقلبه قد أوى إلى مولاه وحبيبه، فآواه إليه، وأسجده بين يديه خاضعًا خاشعًا ذليلًا منكسرًا من كل جهة من جهاته. فيا لها سجدة ما أشرفها من سجدة، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء»[٣].

(**فإذا عرف القلب ربه؛** داوم على الافتقار إليه - سبحانه - في كل حال، وشهد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقةً تامةً إلى الله تعالى من كل وجه)[٤]، (فلا يرى لنفسه حالًا، ولا مقامًا، ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلةً منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كَسر الفقر والمسكنة قلبه، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع)[٥]، وإكسير ذلك (ألا تكون لنفسك، ولا يكون لها منك شيء، بحيث يكون كلك لله)[٦] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١١٤٧).
(٢) طريق الهجرتين (١/ ٣٨٨).
(٣) المصدر السابق (١/ ٤٥٠).
(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٣٤).
(٥) الوابل الصيب (١/ ١٢).
(٦) مدارج السالكين (٣/ ٢٣٣).

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، وعندها لا يقنع العبد (بأمر يسكن إليه دون الله، ولا يفرح بما حصل له دون الله، ولا يأسى على ما فاته سوى الله، ولا يستغني برتبة شريفة وإن عظمت عنده أو عند الناس، فلا يستغني إلا بالله، ولا يفتقر إلا إلى الله، ولا يفرح إلا بموافقته لمرضاة الله، ولا يحزن إلا على ما فاته من الله، ولا يخاف إلا من سقوطه من عين الله واحتجاب الله عنه، فكله بالله، وكله لله، وكله مع الله، وسيره دائما إلى الله)[1]؛ فعندها يرزق سلامة القلب، وينجو ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وذلك بتجرده من أي شبهة تعارض الخبر، أو شهوة تعارض الأمر، أو إرادة تعارض الإخلاص، أو اعتراض يعارض القدر والشرع[2].

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٢).
(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٤٣٨).

الخاتمة

قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٤-٥٦].

قال ابن القيم: (فيا عجبا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال! تسمع آيات الله تتلى عليها، ويذكر الرب ﷻ، فلا تلين ولا تخشع، ولا تنيب، فليس بمستنكر لله ﷻ، ولا يخالف حكمته، أن يخلق لها نارًا تذيبها، إذ لم تلن لكلامه وذكره وزواجره ومواعظه، فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبه، ولم ينب إليه، ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته؛ فليتمتع قليلًا، فإن أمامه الملين الأعظم)[(١)].

اللهم أنت الغني ونحن الفقراء، وأنت القوي ونحن الضعفاء، وأنت الكريم ونحن البخلاء، وأنت العظيم ونحن الأذلاء، وأنت العليم ونحن الجهلاء، يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك الستر، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، يا من ليس معه رب يدعى، ولا وزير يؤتى، ولا حاجب يرشى، يا من ترفع إليه الحاجات والشكوى، ويعلم السر وأخفى، يا محب التائبين، يا جابر المنكسرين، يا واصل المنقطعين، يا أنيس العابدين، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، يا مجيب دعوة المضطرين..

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٦٢٩).

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يُتوقع
يا من يُرجّى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن ... أمنن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك ربي أضرع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشى لمجدك أن يقنط عاصيا ... الفضل أجزل والمواهب أوسع[(١)]

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وما قدرناك حق قدرك، ولا شكرناك حق شكرك.. اللهم أنخنا مطايانا بابك، ولُذْنا بجنابك، نسألك مسألة المسكين، ونبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وندعوك دعاء من خضعت لك رقبته، وخشع لك قلبه، وفاضت لك عيناه، ورغم لك أنفه، اللهم ارزقنا حلاوة معرفتك، ولذة مناجاتك، والأنس بك، والشوق إليك، وحسن عبادتك، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك، سبحانك اللهم لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]

---

(١) الوافي بالوفيات (١٨/ ١٠٢).

ذِكْرَى الـدَّارِ

المقدمــة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج:١]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١].. المتأمل في الوحي يدرك مركزية استحضار اليوم الآخر؛ فهو ركن من أركان الإيمان، ربَّى النبي ﷺ أصحابه عليه، وكرر الله -سبحانه- ذكره في القرآن بأدق التفاصيل، حتى لكأننا ننظر إليه نظر العين، وامتدح الله -سبحانه- أنبياءه بتذكر الآخرة، وتذكير الناس بها[1]؛ فقال -سبحانه-: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٥-٤٧]؛ فذكر الدار الآخرة يسوق النفوس ويهيجها لفعل الخيرات، ويخلع القلوب خوفًا من المعاصي والسيئات، ويهوّن المصائب، ويجتث جذور حب الدنيا من القلب، ويضبط بوصلة الإنسان في شتات الحياة، ويدعوه إلى الزهد في الدنيا، وترك توافهها وفضولها، والشوق للآخرة، والسعي والاستعداد لها.

ورجوت بهذا الكتاب المختصر تذكرة القلوب، في زمن كثرت فيه

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠/ ١١٦).

الغفلة والفتن والمنكرات والترف، وطغيان الماديات ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق:٤٥]، فمن لم يبصر الحقيقة ها هنا سيبصرها هناك ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢]، ومن لم يتذكر ها هنا سيتذكر هناك ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٣-٢٤]، ومن خاف الله في الدنيا سيأمن هناك، قال الله تعالى: «**وعزتي وجلالي، لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين؛ إن هو أمنني في الدنيا؛ أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا؛ أمنته يوم أجمع عبادي**»(١). أسأله -سبحانه- أن يجعله من العلم الذي ينتفع به، وأن يرزقني وإياك ذكرى الدار الآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب ... وتبلى اليد مني في التراب

فيا ليت الذي يقرا كتابي ... دعا لي بالخلاص من الحساب(٢)

(١) صحيح الجامع (٢/ ٧٩٨).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٣٣).

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

تحقيق الإيمان باليوم الآخر، واليقين به، وكثرة استحضاره، من أخص صفات أهل الإيمان ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٣]، أما أكثر الناس فقد قضى الله بأنهم غافلون عن الآخرة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦-٧]، وذلك مع شدة قربه منهم ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١]، «كيف أنعَمُ وصاحب القرْن قد التقم القرْن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ»[(١)].

ومن رحمة الله بنا حصول التذكير في كل ركعة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، وفي كل أسبوع في صلاة الجمعة ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]، ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]، فالعقل يقتضي إيثار الباقي الكامل على الفاني الناقص ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [القصص:٦٠]، ولو (كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى؛ لكان الواجب أن يؤثر خزفًا يبقى، على ذهب يفنى، فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى؟!)[(٢)].

فكل ما تراه في هذه الدنيا سراب ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾ [الرحمن:٢٦]، وهو قصير جدًا ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس:٤٥]، وهو لعبٌ

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٢٠)، وصححه الألباني.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٤).

ولهــــــــو ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾ [الحديد:٢٠]، وهو متاعٌ قليل ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨].

واعلم بأن الفوز الحقيقي هناك ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات: ٦٠-٦١]، وأن الحياة الحقيقية هناك ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤]، ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤]، وأن الخسارة الحقيقية ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥]، وقد توعد الله من لم يرجُ لقاءه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧-٨]، وتوعد من نسي اليوم الآخر ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [ص:٢٦].

وأول شواهد السائر إلى الله والدار الآخرة أن يقوم به شاهد من الدنيا وحقارتها، وسرعة زوالها وانقضائها؛ وحينئذ يقوم بقلبه شاهد من الآخرة ودوامها وبقائها، ثم بعد ذلك يقوم به شاهد من الجنة وما فيها من النعيم، فإذا انضم إلى هذا الشاهد شاهد يوم المزيد، والنظر إلى وجه الرب ﷻ؛ فهناك يسير القلب إلى ربه أسرع من سير الرياح في مهابِّها؛ فلا يلتفت في طريقه يمينًا ولا شمالًا.. هذا، وفوق ذلك شاهد آخر، تضمحل فيه هذه الشواهد المتقدمة من غير أن تعدم، وهو شاهد جلال الرب تعالى وكماله[(١)].

انظر إلى مشاهد الآخرة بعين بصيرتك، وتأمل تصوير الوحي لأدق

(١) انظر: مدارج السالكين (٤/١٤٧).

تفاصيلها، فهذا حال القلوب ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر:١٨]، وهكذا ستزول الدنيا ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١-١١]. وهذا الموت وسكراته ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥]، (اعلم أن الموت هائل، وخطره عظيم، وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا؛ فلا ينجع ذكر الموت في قلبه)[1]. قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: (عجبًا لمن نزل به الموت وعقله معه، كيف لا يصفه؟ فلما نزل به الموت، ذكَّره ابنه بقوله، وقال: صفه. قال: يا بني، الموت أجَلُّ من أن يوصف، ولكني سأصف لك؛ أجدني كأن جبال رضوى على عنقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأن نفَسي يخرج من إبرة)[2]. (فملازمة هذه الأفكار وأمثالها، مع دخول المقابر، ومشاهدة المرضى؛ هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب؛ حتى يغلب عليه، بحيث يصير نصب عينيه)[3]. وذكر الموت منغص وحده، فكيف بما بعده من أهوال؟!

وهذا البعث والحشر ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود:١٠٣]، «يجمع الله الناس الأولين

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٥).
(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥٢).

والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون»(١)، وهكذا سيفر المرء من أهله ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

وهذا الحساب وتطاير الصحف ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ..﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦].

وهذا الصراط «ثم يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسلّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا»(٢).

وهذه النار والعياذ بالله ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٧-٨]، ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠]، ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-

(١) أخرجه البخاري، واللفظ له (٦/ ٨٤)، ومسلم (١/ ١٨٤).
(٢) أخرجه البخاري، واللفظ له (٩/ ١٣٠)، ومسلم (١/ ١٦٧).

٤٨]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠]، ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق:٣٠].

أما أصحاب الجنة، فلا يحزنهم الفزع الأكبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣]، ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ١١-٢١]، «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب. فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»(١)، «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، يقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني؛ فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(٢).

فماذا أعددت لذلك اليوم؟!

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٦٣).
(٢) أخرجه البخاري، واللفظ له (٨/ ١١٤)، ومسلم (٤/ ٢١٧٦).

حالُهم وحالُنا

كان النبي ﷺ يربي أصحابه على استحضار الآخرة، فيقول لهم: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة**»[(١)]. وكان يزهدهم في الدنيا «**والله، ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع؟**»[(٢)]. وكان يخوفهم النار «ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم. قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية. قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا، كلهن مثل حرها»[(٣)]. ويصبّرهم بذكر الجنة «أبشروا آل عمار، وآل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة»[(٤)]. ويحثهم بذكر الجنة عند الشدائد «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض. فقال: عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: نعم، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك بخ بخ؟ قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتل»[(٥)].

وقد كانت هذه حال عباد الله الصالحين في الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا

(١) صحيح الجامع (٢/٨٤١).
(٢) صحيح مسلم (٤/٢١٩٣).
(٣) المصدر السابق (٤/١٢١).
(٤) المستدرك على الصحيحين (٣/٤٣٨).
(٥) صحيح مسلم (٣/١٥١٠).

مُشۡفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦]، ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور:٣٧]، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة:٢٠]، وهم بذلك ينتفعون بالعِبَر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [هود:١٠٣]. وإليك طرفًا من أحوالهم:

- يسمع أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه قول الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران:٩٢]؛ فينفق أحب أمواله، وهي حديقة بَيْرُحاء صدقة لله[1].

- وهذا ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه لا يرجو إلا مرافقة النبي عليه الصلاة والسلام في الجنة، قال: (كنتُ أَبِيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته. فقال لي: «**سل**». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»)[2].

- وهذا أنس بن النَّضْرِ رضي الله عنه ثبت بعدما انكشف المسلمون يوم أحد، وتقدم شوقًا للجنة، «فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم»[3].

- وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه اقتحم عن فرس له شقراء يوم مؤتة، فعقرها، ثم تقدم فقاتل، وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبةٌ وباردٌ شرابها[4]

(١) انظر: صحيح البخاري (٢/ ١١٩).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٥٣).
(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٩).
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢١).

- وهذا عبدالله بن رواحة رضي الله عنه كان يحث نفسه على التقدم في القتال يوم مؤتة، ويقول:

أقسمتُ يا نفسُ لتَنزِلِنَّه ... طائعةً أو سوف تُكرَهِنَّه

إن أجْلَبَ الناس وشدُّوا الرَّنَّة ... ما لي أراك تكرهين الجنة(١)

- و(كان ابن عمر رضي الله عنه إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذكرون الموت والقيامة، ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة)(٢).

- و(كان علي بن الفضيل عند سفيان بن عيينة، فحدث بحديث فيه ذكر النار، فشهق علي شهقة، ووقع، فالتفت سفيان، فقال: لو علمت أنك ها هنا، ما حدثت به، فما أفاق إلا بعد ما شاء الله)(٣).

- وقال ابن مهدي عن سفيان الثوري: (كنت أرمق سفيان في الليلة بعد الليلة، ينهض مرعوبًا ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات. وقال أبو نعيم: كان سفيان إذا ذكر الموت، لم ينتفع به أيامًا)(٤). و(كان سفيان إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم)(٥).

- وكان شداد بن أوس الأنصاري (إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم، فيقول: اللهم إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح)(٦).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢٢).
(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص٣٨٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٥).
(٤) المصدر السابق (٧/ ٢٧٦).
(٥) المصدر السابق (٧/ ٢٤٢).
(٦) حلية الأولياء (١/ ٢٦٤).

◈ وقال المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار: (قلت لنفسي: يموت مالك وأنا معه في الدار، لا أعلم ما عمله؟ قال فصليت معه العشاء الآخرة، ثم مضيت، ثم جئت فلبست قَطِيفة في أطول ما يكون من الليل، وجاء مالك فدخل، فقرب رغيفه فأكل، ثم قام إلى الصلاة فاستفتح، ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار. قال: فوالله، ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، قال: ثم انتبهت، فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ويقول: يا رب، إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار. قال: فوالله، ما زال كذلك حتى طلع الفجر)[(١)].

◈ وقال أبو مسلم الخَوْلاني: (لو رأيت الجنة عيانًا، أو النار عيانًا، ما كان عندي مستزاد»[(٢)].

◈ وكان هَرِم بن حَيَّان (يخرج في بعض الليل وينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها؟! وعجبت من النار كيف نام هاربها؟!»[(٣)].

◈ وكان هشام الدَّسْتُوَائِي (إذا فقد السراج من بيته؛ يتململ على فراشه، فكانت امرأته تأتيه بالسراج. فقالت له في ذلك، فقال: إني إذا فقدت السراج، ذكرت ظلمة القبر»[(٤)].

هذه أحوالهم، فما هي أحوالنا؟!

(١) حلية الأولياء (٦/ ٢٤٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٩).
(٣) المصدر السابق (٤/ ٤٨).
(٤) المصدر السابق (٧/ ١٥٢).

المِفْتاح

(مفتاح الاستعداد للآخرة: قصر الأمل، ومفتاح كل خير: الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر: حب الدنيا، وطول الأمل. وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه)[١]، فالدنيا بطبيعتها تلهي الإنسان ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]، قال القرطبي: (لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة. وزيارتها من أعظم الدواء للقلب القاسي؛ لأنها تذكر الموت والآخرة. وذلك يحمل على قصر الأمل، والزهد في الدنيا، وترك الرغبة فيها)[٢]. وقال ابن القيم: (فلله ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيرًا، وأشدها ترغيبًا في الآخرة وتزهيدًا في الدنيا)[٣].

و(من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين» فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت)[٤]. وتأمل أسماء ذلك اليوم: الحسرة - القارعة - الزلزلة - الطامة الكبرى - الصاخة - الفزع الأكبر، وتذكر بقيامك إلى الصلاة ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، وتذكر بالحج مشهد الآخرة (يجمع الله الناس، الأولين والآخرين، في صعيد

(١) حادي الأرواح (١/ ١٣٩).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٧٠).
(٣) عدة الصابرين (ص١٩٤).
(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٣)، وصححه الألباني.

واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون)[(١)]، وتذكر بمشهد إحياء النبات إحياء الموتى ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج:٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت:٣٩]، وتذكر بنار الدنيا نار الآخرة ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧٣]، وتذكر بسفرك في الدنيا سفرك للآخرة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤].

واعلم بأنه كلما امتلأ القلب بذكر الآخرة؛ **أسرع إلى الله** ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]، **وخاف معصيته** ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر:١٦]، قال ابن القيم: (فمن استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزائها، وذكر المعصية والتوعد عليها، وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح؛ هاج من قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو)[(٢)]، **واجتمع شعثه وهمه** «مَن كانت الآخرة همّه؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»[(٣)]، **وانضبط صاحبه بأحكام الشرع** ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء:٥٩]، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾

(١) أخرجه البخاري، واللفظ له (٦/ ٨٤)، ومسلم (١/ ١٨٤).
(٢) طريق الهجرتين (٢/ ٦١٦).
(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٥٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٣٣).

[النور:٢]، **وكان باعثا له على نصرة الحق** ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤٤]، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وقال تعالى عن سحرة فرعون: ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٥٠]، **وكان أطرَدَ لهمومه وأحزانه**، قال ابن حزم: (بحثت عن سبيل موصلة على الحقيقة إلى طرد الهم الذي هو المطلوب للنفس، الذي اتفق جميع أنواع الإنسان، الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح، على السعي له، فلم أجدها إلا التوجه إلى الله ﷻ بالعمل للآخرة)[1].

(١) الأخلاق والسير (ص١٥).

وختـامًا..

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]

قال ابن القيم: (فهذا حال الجبال، وهي الحجارة الصلبة، وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمته، وقد أخبر عنها فاطرها وباريها أنه لو أنزل عليها كلامه؛ لخشعت ولتصدعت من خشيته. فيا عجبا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال! تسمع آيات الله تتلى عليها، ويذكر الرب ﷻ، فلا تلين، ولا تخشع، ولا تنيب، فليس بمستنكر لله ﷻ ولا يخالف حكمته، أن يخلق لها نارا تذيبها؛ إذ لم تلن لكلامه وذكره وزواجره ومواعظه. فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبُه، ولم ينب إليه، ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته؛ فليتمتع قليلًا، فإن أمامه الملين الأعظم»[1].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧].

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٦٢٨).

زكاة العلم

المقدمـة

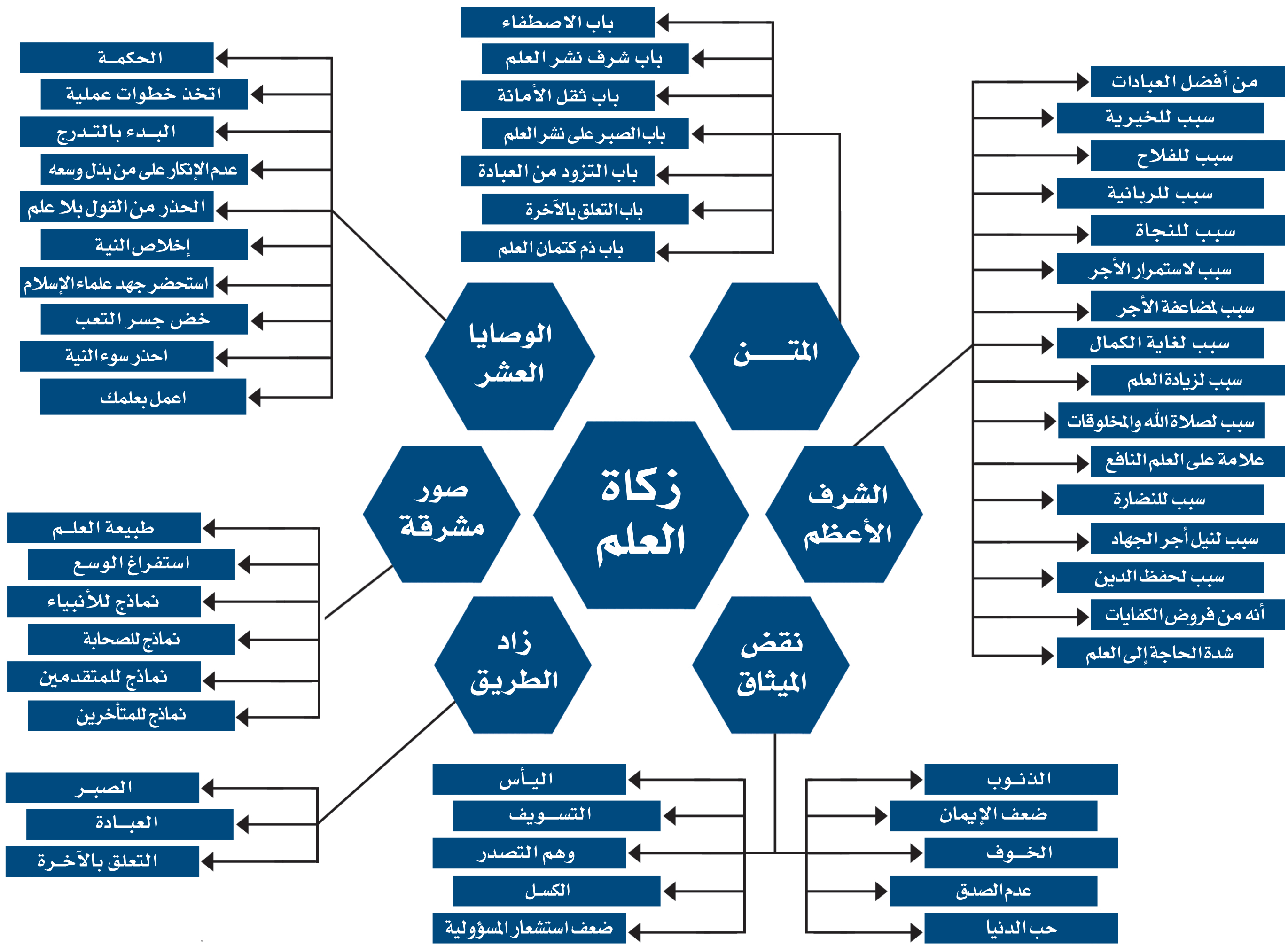
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

دين الإسلام دين علم وعمل ودعوة، وعلى هذا عاش النبي ﷺ وعنه تلقى الصحابة هذا المنهج، فقاموا به خير قيام، وضحوا في سبيله بالغالي والنفيس، وهذه المسؤولية الجسيمة تقع على الجميع لكنها على أهل العلم وطلابه آكد، فهم حملة الدين وورثة الأنبياء، **فجاء هذا الكتاب حاديًا يحث النفوس ويشوقها، ويستنهض همتها وعزيمتها؛ لبذل الوسع واستفراغه في نشر العلم وزكاته والدعوة إلى الله**، ولم أجد شيئًا يشفي الغليل، ويحيي النفوس، كتدبر معاني وحقائق الوحيين واستقرارها في سويداء القلب قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١]، فما (أشدها من حسرة، وما أعظمها من غبنة، على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه)[١].

(١) بدائع الفوائد (١/ ٣٣٨).

وقد انتظم الكتاب في خمس موضوعات، وهي الشرف الأعظم، وصور مشرقة، وزاد الطريق، ونقض الميثاق، والوصايا العشر، **وألحقت بالكتاب متنًا ميسرًا للحفظ**، اجتهدت في جمعه وترتيبه وتذهيبه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث النفوس وتشوقها، وتستنهض همتها وعزيمتها، لبذل الوسع واستفراغه في نشر العلم والدعوة إلى الله، وأسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، ويجعله من زكاة العلم، وأن يكون من العلم النافع الذي يُنتفع به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.


زكاة العلم
الوصايا العشر
الحكمة
اتخذ خطوات عملية
البدء بالتدرج
عدم الإنكار على من بذل وسعه
الحذر من القول بلا علم
إخلاص النية
استحضر جهد علماء الإسلام
خض جسر التعب
احذر سوء النية
اعمل بعلمك
المتن
باب الاصطفاء
باب شرف نشر العلم
باب ثقل الأمانة
باب الصبر على نشر العلم
باب التزود من العبادة
باب التعلق بالآخرة
باب ذم كتمان العلم
الشرف الأعظم
من أفضل العبادات
سبب للخيرية
سبب للفلاح
سبب للربانية
سبب للنجاة
سبب لاستمرار الأجر
سبب لمضاعفة الأجر
سبب لغاية الكمال
سبب لزيادة العلم
سبب لصلاة الله والمخلوقات
علامة على العلم النافع
سبب للنضارة
سبب لنيل أجر الجهاد
سبب لحفظ الدين
أنه من فروض الكفايات
شدة الحاجة إلى العلم
صور مشرقة
طبيعة العلم
استفراغ الوسع
نماذج للأنبياء
نماذج للصحابة
نماذج للمتقدمين
نماذج للمتأخرين
زاد الطريق
الصبر
العبادة
التعلق بالآخرة
نقض الميثاق
اليأس
التسويف
وهم التصدر
الكسل
ضعف استشعار المسؤولية
الذنوب
ضعف الإيمان
الخوف
عدم الصدق
حب الدنيا

الشـرف الأعظـم

يا طالب العلم هل استشعرت اصطفاء الله لك من بين سائر الأنام!! قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج:٧٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء:١١٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

وبما أنك ورثتَ الأنبياء في العلم فحقيق أن ترثهم في العمل والدعوة، قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة:٦٧]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [الجمعة:٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ١-٢].

فخذ الأمر بحقه، وكن على قدر المسؤولية العظيمة، وإلا لن تنتفع بعلمك، وسيكون حجة ووبالًا عليك، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا

قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران:١٨٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل:٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن: ٢٢-٢٣].

وجاء في الحديث: «**بلِّغوا عني ولو آية**»[١]، **فهل تعجز عن مثل هذا؟؟** وجاء في الحديث: «**ليبلِّغ الشاهد منكم الغائب**»[٢]، وجاء في الحديث: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل**»[٣]، وجاء في الحديث: «**سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبًا مرحبًا بوصية رسول الله واقنوهم**»، قلت للحكم: ما اقنوهم؟ قال: علِّموهم[٤]، وجاء في الحديث: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[٥]، **وقال علي** رضي الله عنه: (لم يُؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتى أُخذ على العلماء عهد ببذل العلم للجهال)[٦]، **وقال ابن تيمية** رحمه الله: (دين الأمة يوجب عليهم تبليغ الدين وإظهاره وبيانه ويحرم عليهم كتمانه)[٧]، **فهل قمت بالواجب الذي عليك؟؟**

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الألباني.
(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٠٣)، وحسنه الألباني.
(٥) أخرجه مسلم (٤٩).
(٦) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٠٥).
(٧) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٦٤).

وهنيئًا لك الشرف العظيم والأجر الجزيل، إذا نشرت العلم ودعوت إلى الله تعالى:

١ **من أفضل العبادات:** قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، **وقال ابن المبارك** رحمه الله: (لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم)[١]، **وقال الحسن** رحمه الله: (لأن أتعلم بابًا من العلم فأُعلّمه مسلمًا أحب إلي من أن تكون لي الدنيا كلها أجعلها في سبيل الله تعالى)[٢]، **وقال ابن تيمية** رحمه الله: (بيان العلم والدين، عند الاشتباه والالتباس على الناس، أفضل ما عُبد الله به)[٣]، **وقال ابن تيمية** رحمه الله: (تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام)[٤]، **وقال ابن القيم** رحمه الله: (لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة، فالمبلغ عنه ساعٍ في حصول محابه؛ فهو أقرب الناس منه، وأحبهم إليه، وهو نائبه وخليفته في أمته)[٥].

٢ **سبب للخيرية:** قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وجاء في الحديث: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٦].

٣ **سبب للفلاح:** قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٧).
(٢) الفقيه والمتفقه (١/ ١٠٢).
(٣) الرد على السبكي (٢/ ٦٧٨).
(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٦).
(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠١).
(٦) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

٤ سبب للربانية: قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]، **قال ابن القيم** رحمه الله: (لا يوصف العالم بكونه ربانيًّا حتى يكون عاملًا بعلمه، معلمًا له)(١).

٥ سبب للنجاة ودفع العذاب: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥].

٦ سبب لاستمرار الأجر بعد الممات: جاء في الحديث: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢)، وجاء في الحديث: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علّمه ونشره**»(٣)، **وقال سعيد بن جبير** رحمه الله: (لأن أنشر علمي، أحب إليَّ من أن أذهب به إلى قبري)(٤)، **وقال ابن الجوزي** رحمه الله: (من أحب ألا ينقطع عمله بعد موته فلينشر العلم بالتدوين والتعليم)(٥)، **وقال ابن جماعة** رحمه الله: (الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه، وأقرب أهله إليه، ولذلك كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع الناس به في حياتهم ومن بعدهم، ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٥٦).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٠٠)، وحسنه الألباني.
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٦).
(٥) التذكرة في الوعظ ص٥٥.

لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى، فإنه لا يتصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به إلا كان له نصيب من الأجر، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». وأنا أقول: إذا نظرت وجدت معاني الثلاثة موجودة في مُعلِّم العلم)[١]، **وقال ابن عثيمين** رحمه الله: (نشر العلم من زكاته، فكما يتصدق الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى دومًا وأقل كلفة ومؤنة، أبقى دومًا؛ لأنه ربما كلمة من عالم تُسمع ينتفع بها أجيال من الناس، وما زلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده)[٢].

٧ سبب لعظم الأجر ومضاعفته: جاء في الحديث: «**من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**»[٣]، وجاء في الحديث: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[٤]، وجاء في الحديث: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات**»[٥]، وجاء في الحديث: «**من غدا إلى مسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلّمه، كان له كأجر حاج تامًّا حجته**»[٦]، وجاء في الحديث: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»[٧]، **وقال ابن جماعة** رحمه الله عن ثمرات نشر العلم: (أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص٧٧.
(٢) كتاب العلم ص٢٤٦.
(٣) أخرجه مسلم (١٨٩٣).
(٤) أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).
(٥) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).
(٦) أخرجه الطبراني (٧٤٧٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٨٦): حسن صحيح.
(٧) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

تعالى، ونشر العلم، وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها، واغتنام ثوابهم، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه علمه من بعضهم، وبركة دعائهم له، وترحمهم عليه، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله ﷺ وبينهم، وعداده في جملة مبلغي وحي الله تعالى وأحكامه، فإن تعليم العلم من أهم أمور الدين، وأعلى درجات المؤمنين)[(١)].

٨ سبب لغاية الكمال: قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، **وقال ابن القيم** رحمه الله: (المراتب أربعة، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله، إحداها: معرفة الحق، الثانية: عمله به، الثالثة: تعليمه مَن لا يُحسنه، الرابعة: صبره على تعلمه، والعمل به، وتعليمه)[(٢)].

٩ سبب لزيادة العلم وبركته ورسوخه: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]، وجاء في الحديث القدسي: (أَنفق أُنفق عليك)[(٣)]، **وقال ابن القيم** رحمه الله: (العالِم كلما بذل علمه للناس وأنفق منه تفجرت ينابيعه، وازداد كثرة وقوة وظهورًا، فيكتسب بتعليمه حفظ ما علمه، ويحصل له به علم ما لم يكن عنده، وربما تكون المسألة في نفسه غير مكشوفة ولا خارجة من حيز الإشكال، فإذا تكلم بها وعلمها اتضحت له وأضاءت وانفتح له منها علوم أخر. وأيضًا؛ فإن الجزاء من جنس العمل، فكما علَّم الخلق من جهالتهم، جزاه الله بأن علَّمه من جهالته)[(٤)]، **وقال**

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص٦٦.
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٢).
(٣) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).
(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٦٤).

الخليل رحمه الله: (إذا لم تُعلِّم الناس ثوابًا فعلِّمهم لتدرس بتعليمهم علمك)[١]، **وقال ابن عثيمين** رحمه الله: (العلماء ننتفع بكتبهم، ومعهم زكاة وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده كما قيل:

يزيد بكثرة الإنفاق منه   وينقص إن به كفًّا شددت)[٢]

١٠ سبب لصلاة الله والملائكة والمخلوقات: جاء في الحديث: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلُّون على معلم الناس الخير**»[٣].

١١ علامة على العلم النافع: جاء في الحديث: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان، لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[٤]، **وقال أبو قلابة** رحمه الله: (العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه ولم يعش الناس معه، ورجل عاش الناس بعلمه ولم يعش هو فيه، ورجل عاش بعلمه وعاش الناس بعلمه)[٥]، **وقال ابن القيم** رحمه الله: (الجود بالعلم وبذله، وهو من أعلى مراتب الجود، والجود به أفضل من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال، والناس في الجود به على مراتب

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٢١).
(٢) كتاب العلم ص٢٤٦.
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، وصححه الألباني.
(٤) أخرجه البخاري (٧٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٢٨٢).
(٥) مصنف عبدالرزاق (١٠/ ٢٨٩).

متفاوتة، وقد اقتضت حكمة الله وتقديره النافذ أن لا ينفع به بخيلًا أبدًا، ومن الجود به: أن تبذله لمن لم يسألك عنه، بل تطرحه عليه طرحًا)[(١)].

١٢ سبب للنضارة: وجاء في الحديث: «**نضر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلّغه كما سمعه**»[(٢)].

١٣ سبب لنيل أجر الجهاد: قال ابن القيم رحمه الله: (طلب العلم من سبيل الله؛ لأن به قوام الإسلام، كما أن قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير، وجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه، قال تعالى في سورة الفرقان ـ وهي مكية ـ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١ـ٥٢]، فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين)[(٣)]، **وقال ابن عثيمين** رحمه الله: (إنَّ في نشرك للعلم نشرًا لدين الله عز وجل، فتكون من المجاهدين في سبيل الله؛ فالمجاهد في سبيل الله يفتح البلاد بلدًا بلدًا حتى ينشر فيها الدين، وأنت تفتح القلوب بالعلم حتى تنشر فيها شريعة الله عز وجل)[(٤)]، **وقال ابن القيم** رحمه الله: (وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو)[(٥)].

١٤ سببٌ لحفظ الدين وإحياء الشريعة: قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: (ولتفشو العلم، ولتجلسوا حتى يُعلَّم من لا يَعْلَم، فإن العلم لا يهلك حتى

(١) مدارج السالكين (٣/ ٦).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٧)، وصححه الألباني.
(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٩١).
(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٤/ ١٥٠).
(٥) جلاء الأفهام ص٤٩٢.

يكون سرًّا)[١]، **وقال عبدالملك بن مروان** رحمه الله: (إن العلم يُقبض قبضًا سريعًا، فمن كان عنده علم فلينشره غير جافٍ عنه ولا غالٍ فيه)[٢].

١٥ أنه من فروض الكفايات، ويتعين إذا سُئل المرء بلسان الحال أو المقال، أو لم يعلم بالمسألة سواه، أو لم تحصل الكفاية: قال ابن عثيمين رحمه الله: (كتمان العلم يكون بإخفائه حين تدعو الحاجة إلى بيانه، والحاجة التي تدعو إلى بيان العلم بالسؤال، إما بلسان الحال وإما بلسان المقال، فالسؤال بلسان الحال أن يكون الناس على جهل في دين الله بما يلزمهم في الطهارة، في الصلاة، في الزكاة، في الصيام، في الحج، في بر الوالدين، في صلة الأرحام، فيجب حينئذ بيان العلم، أو بلسان المقال، بأن يسألك إنسان عن مسألة من مسائل الدين وأنت تعرف حكمها، فالواجب عليك أن تبيّنها، ومن كتم علمًا مما علّمه اللهُ فهو على خطر عظيم)[٣]، **وقال ابن باز** رحمه الله: (عند غلبة الجهل - كحالنا - تكون الدعوة فرض عين على كل واحد، بحسب طاقته)[٤]، **وقال مالك** رحمه الله: (لا ينبغي لأحد عنده علم أن يترك التعليم)[٥].

١٦ شدة الحاجة إلى العلم قال أحمد بن حنبل رحمه الله: (الناس يحتاجون إلى العلم قبل الخبز والماء؛ لأن العلم يحتاج إليه الإنسان في كل ساعة، والخبز والماء في اليوم مرة أو مرتين)[٦]، **وقال محمد البشير الإبراهيمي** رحمه الله: (إن أنفع الأعمال لأمتنا الجاهلة هو التعليم والإنقاذ من شر

(١) أخرجه البخاري (٩٩).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٠٥).
(٣) فتاوى نور على الدرب (٦/ ٢).
(٤) الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة ص١٦.
(٥) ترتيب المدارك (٢/ ٢٦).
(٦) مسائل حرب الكرماني (٢/ ٩٤٦).

الأمية، وإن ألف جائع تطعمهم وألف عار تكسوهم لا يغنون عن الأمة غناء عشرة تلاميذ تعلمهم تعليمًا نافعًا، وتربيهم تربية صالحة)[١]، **وقال ابن باديس** رحمه الله: (غاية العالم المسلم أن يهتدي في نفسه، وأن يهدي غيره، أما أكثر الطلاب فمنهم من تكون غايتهم الوظيفة، فهم غفلة من أنفسهم وعن غيرهم، ومنهم من تكون غايته أن ينال الشهادة بالعلم، فهو مثل الأول، فأما الغاية الحقيقية التي ذكرنا **فما أقل أهلها**؛ لأنها لا ذكر لها في برامج التعليم، ولا اهتمام بها من المعلمين، وحق على كل طالب أن تكون هي غايته، وهو مع ذلك نائل العلم، ونائل ما يؤهله للوظيفة إن أبى إلا أن تكون الوظيفة من قصده، ولكنه بالقصد إلى تلك الغاية يكون عاملًا في أثناء تعلمه على تهذيب نفسه، ويكون مصدر هداية الناس في المستقبل، لكن هذا إنما يتم للطالب إذا كان شيوخه يهتمون بهذه الغاية ويعملون لها، ويوجهون تلامذتهم لها، **وما أعز هذا الصنف من الشيوخ**)[٢].

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٣/ ٥٧٠).
(٢) ابن باديس لعمار الطالبي (٤/ ٢٠٣).

صـور مشرقـة

العلم بطبيعته يدعو صاحبه اضطرارًا لنشره، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:٢٠]، وقال تعالى عن الهدهد: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٣-٢٦].

فهل استفرغت غاية ما تستطيعه في نشر العلم والدعوة إلى الله؟ أم أنك رضيت بالنزر اليسير من الجهد، وفتات الأوقات وفضولها، فالسباق إلى الله مضمار تنافس، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤].

وقد ضرب الأنبياء في ذلك أروع الأمثلة، فهذا نوح عليه السلام يبذل غاية وسعه في دعوة قومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا

﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح:٥-١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:١٤]، وقام النبي عليه الصلاة والسلام لله وسعى لنشر هذا الدين في كل مكان وزمان، في الأسواق، والأندية، والمجالس، ومواسم الحج، وسافر إلى الطائف على قدميه طمعًا في هدايتهم، وكاتب الملوك، وأرسل الرسل، وهاجر وقاتل في سبيل ذلك، وعاش لهذا الدين ونشره حتى لحظاته الأخيرة، (الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم)(١).

وعنه تلقَّى الصحابة والسلف هذا المنهج؛ فقاموا بالدين خير قيام، وتسابقوا إلى نشر العلم والدعوة إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها، وبذلوا غاية وسعهم في ذلك، وضحوا في سبيله بالغالي والنفيس، وآثروه على كل شيء، ومن مآثرهم:

◈ **ارتحال أصحاب النبي ﷺ في بقاع الأرض**؛ كمعاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري، وعلي بن أبي طالب، ومصعب بن عمير، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت وغيرهم رضي الله عنهم، وشعارهم: (الله ابتعثنا لنخرج مَن شاء مِن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه)(٢)، **ومن الصحابة من أكثر من رواية الحديث**؛ كعائشة، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وجابر، وغيرهم رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٦)، وصححه الألباني.

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٦٢٢).

◈ **وهذا أبو بكر الصديق** رضي الله عنه عندما أسلم ذهب مباشرة ودعا إلى الله، فأسلم مجموعة من العشرة المبشرين بالجنة، **وسعد بن معاذ** رضي الله عنه عندما أسلم دعا قومه فأسلموا جميعًا، **وأبو هريرة** رضي الله عنه عندما أسلم دعا أُمَّه إلى الإسلام وطلب من النبي عليه الصلاة والسلام أن يدعو الله لها فأسلمت، **والطفيل بن عمرو الدوسي** رضي الله عنه عندما أسلم رجع إلى قومه ودعاهم للإسلام ثم قدم على النبي عليه الصلاة والسلام بمن أسلم من قومه، **فتأمل كيف أنهم سارعوا في نشر ما تعلموه ولو كان يسيرًا.**

◈ **وهذا ابن عقيل الحنبلي** رحمه الله يستفرغ وسعه في نشر العلم فيقول: (إني لا يحل لي أن أضيِّع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره)[١]، ويقول رحمه الله: (أنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي حتى أختار سفَّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبز؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرًا على مطالعة أو تسطير فائدة لم أدركها فيه)[٢].

◈ **وهذا أبو عمرو ابن العلاء** يقول للأصمعي رحمهما الله: (لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك، لفعلت)[٣].

◈ **وقال الشافعي** رحمه الله: (يا ربيع، لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك إياه)[٤].

◈ **وهذا محمد بن الحسن** رحمه الله: (كان كثير السهر، فقيل له: لم لا تنام؟ قال: كيف أنام وقد نامت عيون المسلمين تعويلًا علينا، وهم يقولون: إذا وقع لنا أمر رفعناه إليه فيكشفه لنا، فإذا نمنا ففيه تضييع للدين؟)[٥].

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ٣٢٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٨).
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٧٣).
(٥) صلاح الأمة (١/ ٢١٨).

◊ **وقال محمد بن سلام** رحمه الله: (أنفقت في طلب العلم أربعين ألفًا، وأنفقت في نشره أربعين ألفًا، وليت ما أنفقته في طلبه كان في نشره)[١].

◊ **وقال سفيان الثوري** رحمه الله: (والله لو لم يأتوني لأتيتهم في بيوتهم) -يعني أصحاب الحديث-[٢].

◊ **وعن عثمان بن عطاء بن مسلم الخراساني عن أبيه** قال رحمه الله: (أوثق عملي في نفسي نشر العلم، وكان يجلس أبي مع المساكين، فيعلِّمهم، ويحدِّثهم)[٣].

◊ **وكان أبو عبد الرحمن السلمي** رحمه الله: (يُقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة)[٤].

◊ **وكان العلاء بن النفيس**: (إذا أراد التصنيف تُوضع له الأقلام مبرية، ويُدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ في التصنيف إملاءً من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كَلَّ القلم وحفي رمى به، وتناول غيره؛ لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم، وكان يكتب من صدره من غير مراجعة حال التصنيف)[٥].

◊ **وكان لمحمد بن سحنون** رحمه الله: (سُرّيّة يقال لها أم مُدام، فكان عندها يومًا وقد شُغل في تأليف كتاب إلى الليل، فحضر الطعام، فاستأذنته ليأكل، فقال لها: أنا مشغول الساعة. فلما طال عليها، جعلت تلقمه الطعام، حتى أتت عليه، وتمادى هو على ما هو فيه إلى أن أُذن لصلاة الصبح، فقال: شُغلنا عنك الليلة يا أم مدام، هات ما عندك، فقالت: قد والله يا سيدي

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٣٠).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٩١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٤٢).
(٤) المصدر السابق (٤/ ٢٦٨).
(٥) الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٨٣).

ألقمته لك، فقال لها: ما شعرت بذلك)[(١)].

◈ **وأما موسى بن محمد بن عبدالملك** ﵀، فيقول عنه ابنه علي: (ومما شاهدت من عجائبه أنه عاش سبعًا وستين سنة، ولم أره يومًا يخلّي مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده، حتى إن أيام الأعياد لا يخليها من ذلك، ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب، فقلت له: يا سيدي، أفي هذا اليوم لا تستريح؟! فنظر إليَّ كالمُغضب، وقال: أظنك لا تفلح أبدًا، أترى الراحة في غير هذا؟ والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها، ولوددت أن الله تعالى يضاعف عمري حتى أتم كتاب المغرب على غرضي. قال: فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله، لا ألتذّ بنعيم غير ما ألتذ به من هذا الشأن، ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف إلى ما تراه)[(٢)].

◈ **وقد دخل ابن النفيس** ﵀ مرة إلى الحمام، فلما كان في بعض تغسيله خرج واستدعى بدواة وقلم وورق، وأخذ في تصنيف مقالة في النبض إلى أن أنهاها، ثم عاد ودخل الحمام وكمّل تغسيله[(٣)].

◈ **وقال إبراهيم التميمي عن أبي يوسف** ﵄: (أتيته أعوده فوجدته مغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم أيهما أفضل في رمي الجمار أن يرميها الرجل راجلًا أو راكبًا؟ فقلت: راكبًا، فقال: أخطأت، قلت: ماشيًا، قال: أخطأت، قلت: قل فيها يرضى الله عنك، قال: أما ما يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راجلًا، وأما ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكبًا، ثم قمت من عنده فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه، وإذا هو قد مات)[(٤)].

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ٢١٥).
(٢) نفح الطيب (٢/ ٣٣٣).
(٣) انظر: الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٨٤).
(٤) الجواهر المضية (١/ ٧٦).

◊ **وقال ابن أبي حاتم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (سمعت أبي يقول: مات أبو زرعة مطعونًا مبطونًا يعرق جبينه في النزع، فقلت لمحمد بن مسلم: ما تحفظ في تلقين الموتى **«لا إله إلا الله؟»** فقال محمد بن مسلم: يروى عن معاذ بن جبل، فمن قبل أن يستتم، رفع أبو زرعة رأسه وهو في النزع فقال: روى عبدالحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**)[(١)].

◊ **وهذا البخاري** رَحِمَهُ اللَّهُ يكابد نومه، و(يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيُوري السّراج، ويكتب الفائدة تمر بخاطره، ثم يُطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى، حتى كان يتعدد ذلك منه قريبًا من عشرين مرة)[(٢)].

◊ **وقال الربيع** رَحِمَهُ اللَّهُ: (لم أر الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ آكلًا بنهار، ولا نائمًا بليل؛ لاهتمامه بالتصنيف)[(٣)].

◊ **وهذا أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ يكابد تباعد الأقطار ومشقة الأسفار، ويطوف (الدنيا مرتين حتى جمع المسند)[(٤)].

◊ **وهذا محمد بن يحيى الذهلي** رَحِمَهُ اللَّهُ يكابد الحر ودخان السراج، كما قال عنه ابنه يحيى: (دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة، وهو في بيت كتبه، وبين يديه السّراج، وهو يصنّف، فقلت: يا أبت، هذا وقت الصلاة، ودخان هذا السّراج بالنهار، فلو نفّست عن نفسك. قال: يا بني، تقول لي هذا، وأنا مع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين)[(٥)].

(١) تقدمة الجرح والتعديل ص٣٤٥.
(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٥٢٨).
(٣) المجموع (١/ ٣٨).
(٤) صيد الخاطر ص٢٥٩.
(٥) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٧٩).

◈ ومنهم من كان يكابد الكتابة في الليل حتى ذهب بصره، **كابن كثير** ﵀ الذي (فقد بصره وهو يؤلف كتاب جامع المسانيد، فأكمله، إلا بعض مسند أبي هريرة، وفيه قال: لا زلت أكتب فيه في الليل والسراج ينونص؛ حتى ذهب بصري معه)(١).

◈ وقد آثروا مرارة العزلة المؤقتة والتفرغ لنشر العلم وبثه فما ألّف (**الإمام البيهقي** ﵀ كتبه العظيمة إلا حين انقطع عن الناس في بساتين قرية في بيهق، **وما ألف الذهبي** ﵀ كتبه الكبار ـ كتاريخ الإسلام والسير ـ إلا حين انقطع في أحد البساتين في ضواحي دمشق، **وما ألف ابن خلدون** ﵀ مقدمته العظيمة إلا حين اعتزل عدة أشهر في قلعة بني حسان في الجزائر، **وما ألف الإمام ابن الوزير** ﵀ كتابه النادر العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ومختصره الروض الباسم، وغيرهما، إلا في انقطاع من الناس، وما كان **للإمام السيوطي** ﵀ أن ينتج هذا الإنتاج الضخم إلا حين اعتكف وانقطع عن الناس، فلا يفتح لطارق إلا إن كان من آل البيت... **واختصر الألباني** ﵀ صحيح مسلم في السجن، **وألف الإمام السرخسي** ﵀ المبسوط إملاء وهو مسجون في الجب)(٢).

◈ وقال ابن رجب في ترجمة **إسماعيل بن محمد بن الفراء الحنبلي** رحمهما الله: (يقال إنه أقرأ المقنع مئة مرة)(٣).

◈ وهذا **القاسم بن سلام** ﵀ مكث في كتابه أربعين سنة(٤)، وكذلك **مالك** ﵀

(١) البداية والنهاية (١/ ٣٣).
(٢) اقرأ وارق ص٧٨.
(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٠٩).
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٦).

في الموطأ[(١)]، **والطبري** ؒ مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة[(٢)]، **وابن حجر** ؒ مكث ٢٥ سنة في فتح الباري[(٣)]، وأقام **القرافي** ؒ عشرين سنة يتطلب تحرير مسألة[(٤)]، **وابن عاشور** ؒ في تفسيره تسعًا وثلاثين سنة وستة أشهر[(٥)]، **وابن قاسم** ؒ جمع الفتاوى خلال أربعين سنة، وقضى **ابن عبدالبر** ؒ أكثر من ثلاثين عامًا في تنقيح كتابه التمهيد، وبذل أ.د. **بشار عواد معروف** ـ حفظه الله ـ في تحقيقه أكثر من عشرين عامًا[(٦)].

◈ وهذا **محمد بن إبراهيم آل الشيخ** ؒ يجلس لطلبة العلم من بعد صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء، وقد استمر على ذلك ٤١ سنة[(٧)].

◈ وهذا **الحسين بن القاسم اليمني** ؒ: (صنّف كتبه وهو يتنقل في ميادين القتال)[(٨)].

◈ **وقد ضرب ابن باديس** ؒ **أروع الأمثلة** فقد كانت دروسه (تستغرق معظم النهار، من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء)[(٩)]، وكان يورّث طلابه نشر العلم، ويربيهم ويعوّدهم على (الإصلاح والدعوة إلى الله، وفي العطلة السنوية إذا أراد الطلاب أن يرجعوا إلى مناطقهم، يطلب منهم أن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله، ونشر ما تعلموه، وعند استئناف الدراسة يطلب من

(١) انظر: الاستذكار (١/ ١٣).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٢).
(٣) انظر: الجواهر والدرر (٢/ ٦٧٥).
(٤) انظر: العقد المنظوم (٢/ ٦٩).
(٥) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ١٨).
(٦) انظر: التمهيد (١/ ٦)-٧.
(٧) انظر: تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي ص٢٦٥.
(٨) الأعلام (٢/ ٢٥٢).
(٩) المؤتمر الخامس لجمعية علماء الجزائر ص٢٠٨.

كل واحد أن يقدم تقريرًا عما أنجزه)[١]، وكان يقول: (أنا إن كنت في عرس علّمت المحتفلين، وإن كنت في مأتم وعظت المعزين، وإذا جلست في قطار علّمت المسافرين، وإذا أُدخلت السجن أرشدت المسجونين)[٢]، وقال لمحمد البشير الإبراهيمي رحمه الله عندما أراد الخروج من الجزائر وترك نشر العلم فيها: (إن خروجك يا فلان أو خروجي يكتبه الله فرارًا من الزحف)[٣].

وقال عن نفسه رحمه الله: (أشغالي العلمية تستغرق أوقاتي كلها، والتي أضحي في سبيلها بكل عزيز.. وهي المالكة لحياتي؛ لأني جعلتُ حياتي وقفًا عليها.. وإني أعلن للأمة الجزائرية كلها أنني لست لنفسي وإنما أنا للأمة، أُعلِّم أبناءها، وأجاهد في سبيل دينها ولغتها)[٤]، وكان تلميذه عمار المطاطلة رحمه الله (يحمل كتابه المقرر في درس الشيخ وهو شاب فنعس فسقط الكتاب من يده، وكان الكتاب معظمًا عند ابن باديس، فقال له ابن باديس: أتظن أنك الوحيد الذي بحاجة إلى نوم؟ أنا ما نمت إلا سويعات، ثم قال: كيف ينام من أمته في مثل هذا الذل والهوان)[٥]، وقال أحمد توفيق المدني رحمه الله له عندما رأى عليه علامات الفاقة والإعياء: (يا أخي أما آمنت بأن لنفسك عليك حقًّا أما قرأت تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]، فأجاب في هدوء غريب: كلا يا أحمد ما عملت طول حياتي إلا بهذه الآية الكريمة، إن نصيبي هو بث العلم)[٦]، وقال عنه محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله: (تلقيت الخبر بموت

(١) التجربة الدعوية لابن باديس ص١٣٥.
(٢) أيام ابن باديس ص٩٢.
(٣) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤/٣٣٨).
(٤) أيام ابن باديس ص٨٤.
(٥) المصدر السابق ص١٢٦.
(٦) المصدر السابق ص٢٥٤.

الشيخ عبدالحميد بن باديس ﵀ بداره في قسنطينة بسرطان في الأمعاء، كان يحس به من سنوات، ويمنعه انهماكه في التعليم وخدمة الشعب من التفكير فيه وفي علاجه)[١].

◈ **وقال الألباني** ﵀: (أحيانًا يأخذ الحديث مني ساعات، وأحيانًا أيامًا، بل أحيانًا أمكث أسبوعًا في حديث واحد)[٢].

◈ **ويقول عبدالوهاب المسيري** ﵀: (نجحت إلى حد كبير في توظيف المال بدلًا من أن يوظفني، فلم أضطر قط إلى أن أقوم بعمل يتناقض مع مشروعي الفكري أو يعوقه، ولم أعمل إلا في وظائف أقوم بتوظيفها لخدمته... ولم أشغل قط أي منصب إداري من أي نوع طيلة حياتي، فلم أعمل رئيسًا للجنة أو لقسم، أو وكيلًا أو عميدًا لكلية، وقد عملت مستشارًا ثقافيًّا للوفد الدائم بجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، ولكن وظيفتي مرة أخرى أصبحت مجرد إطار لتحقيق مشروعي المعرفي... وحينما عُرض عليَّ أن أعمل في هيئة الأمم المتحدة براتب ضخم، آثرت البقاء في وظيفتي، والتضحية بالراتب الضخم؛ لأن الوظيفة الجديدة كانت ستستوعب كل وقتي، كما أنها تتعارض كلية مع مشروعي)[٣].

◈ وهذا **عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين** ﵀: (أصابه ورم فأنهى كتابًا في السيرة، ثم سافر للعلاج بأمريكا، وأكمل تسهيل الفقه أثناء سفره، وبعدما عاد كتب كتابًا في التجويد، ونقَّح كتاب تسهيل العقيدة، وبعدما انتشر المرض في جسده لم يزدد إلا إصرارًا على المضي قُدمًا في إنهاء أعماله العلمية، ضاربًا أروع الأمثلة في الصبر على البلاء، مع كون المرض ينافي

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥/ ٢٨٤).
(٢) محدث العصر ص٩٩.
(٣) رحلتي الفكرية ص١٧٥.

تحمل مثل تلك المعاناة، وكان يعاني لمدة من بعض الأمراض المزمنة، مثل: آلام الركبة، وآلام القرحة، وآلام الرقبة، وآلام في مفاصل اليد من كثرة الكتابة على الحاسوب، إلى أن اشتدت به الآلام، وأُدخل المستشفى، ومع هذا لم يكل عن العمل، مستصحبًا معه جهازه؛ للبحث والمراجعة)[١].

◈ **وقال بشار عواد معروف حفظه الله** عن نفسه: (ربما أنا كتبت بهذه اليد أكثر من ١٥٠ ألف صفحة، ومنذ خمسين عامًا وأنا دائمًا أقول لنفسي: كم أنجزت هذا اليوم؟ كم ضيعت من الوقت في عدم الكتابة، أو في عدم الدراسة، أو في عدم التحقيق؟ ومنذ أكثر من أربعين عامًا ألزمت نفسي بأنني في كل يوم ينبغي أن أنجز ما لا يقل عن ملزمة (ستة عشر صفحة)، وكنت في بعض الأيام أنجز عشرين صفحة، حتى يكون في الغد اثنتي عشرة صفحة، أبدأ العمل الساعة السادسة صباحًا ولا أقوم إلا الساعة الثانية عشرة لصلاة الظهر وللغداء وللراحة قليلًا، ثم أبدأ من الساعة الثانية إلى المساء، هذا وأنا في الثمانين، أما وأنا شاب، فقد كنت أسهر الليالي الطوال، فهذا لو حسبته على طول الأيام التي يمكن للإنسان أن يعمل فيها فهذا الإنتاج قليل).

(١) تسهيل الفقه (١/ ١٣)-١٤.

زاد الطريق

◈ طريق بث العلم والدعوة إلى الله مليء بالابتلاءات، وهو يحتاج إلى زاد عظيم ومن ذلك:

١ الصبر:

فأين أنت من (طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضّرّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود)[١]، وأوذي النبي ﷺ في نفسه وأصحابه، وحوصر، واختبأ في الغار، وطُرد وضُرب، وشج في رأسه، وكُسرت رباعيته، ودخلت حلقتا المغفر في وجنته، وسال منه الدم، وربط الحجر على بطنه من الجوع، وتكلم الناس في عِرض زوجته، وسُحر وسُمم، وتآمروا على قتله، وحطمه الناس، بأبي هو وأمي، كل هذا حتى يبلغ دين الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ

(١) الفوائد لابن القيم ص٥٦.

﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة:٢١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:١١]، وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

وقال هرقل لأبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (فكذلك الرسل تُبتلى، ثم تكون لهم العاقبة)[١]، **وقال ورقة بن نوفل** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أَوَ مخرجي هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا)[٢]، وجاء في الحديث: (أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقّة ابتُلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»)[٣]، وجاء في الحديث: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض، فيُجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيُوضع على رأسه**

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٤)، ومسلم (١٧٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (١٦٠).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وصححه الألباني.

فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه»(١)، وجاء في حديث عائشة (أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب»**(٢)، وجاء في الحديث: «**إن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم**» قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «**بل أجر خمسين منكم**»(٣).

٢ العبادة:

التوفيق وانشراح الصدر والهمة العالية بيد الله ﷻ، ومن الناس من يُغلِق عليه بابه ويتفرغ من الأشغال، والكتب حوله، وهو بكمال صحته، ومع ذلك لا يستطيع أن يكتب أو يدرّس، وبعضهم يمكث على هذه الحال شهورًا بل سنوات، ومن الناس من هو في قمة الانشغالات، وقد نهشته الأمراض، ومع ذلك هو من أكثر الناس نشرًا للعلم؛ **وسر هذا هو التعلق بالله، وكثرة دعائه وعبادته، مع صلاح القصد، فهذا هو الباب الأعظم لاستمطار الفتوحات والعون والبركة**، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة:١٩٧]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي

(١) أخرجه البخاري (٦٩٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٤).

﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٥-٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣]، وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه:٤٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء:٧٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]، وجاء في الحديث: «**كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلَّى**»[(١)].

وقال الطبري رحمه الله عن تفسيره: (سألته العون على ما نويته ثلاث سنين، قبل أن أعمله؛ فأعانني)[(٢)]، **وقال ابن خزيمة** رحمه الله: (كنت إذا أردت أن أصنّف الشيء أدخل في الصلاة مستخيرًا؛ حتى يفتح لي، ثم أبتدئ التصنيف)[(٣)]، **وقال الحاكم** رحمه الله: (شربتُ ماء زمزم، وسألتُ الله أن يرزقني حسن التصنيف)[(٤)]، **وقال البخاري** رحمه الله: (ما وضعت في كتابي الصحيح حديثًا إلا اغتسلتُ قبل ذلك، وصليت ركعتين)[(٥)]، (وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين)[(٦)]، **وقال المزني** رحمه الله عن كتابه المختصر: (كنت كلما أردت تأليفه أصوم قبله ثلاثة أيام، وأصلي كذا وكذا ركعة)[(٧)].

فلا عجب حين يرى المرءُ النتاجَ الضخم لأهل العلم في العمر القصير؛ وذلك أنهم جمعوا إلى العلم النافع العمل الصالح، ومن الناس من يتوهم

(١) أخرجه أبو داود (١٣١٩)، وحسنه الألباني.
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٤).
(٣) المصدر السابق (١٤/ ٣٦٩).
(٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٦٥).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٢).
(٦) المصدر السابق (١٢/ ٤٠٤).
(٧) مناقب الشافعي (٢/ ٣٤٩).

أنه إذا أراد الإنجاز وكسب الوقت خفف من نوافل العبادات، والحقيقة أن البركة في الوقت، والفتح من الله، وانشراح الصدر، والقوة في البدن، سببها الإكثار من الدعاء والتعبد، **والذي ينظر في حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم أكثر الناس شغلًا، يجد أنهم أكثر الناس عبادة، وكذا كان شأن الصحابة والمصلحين والمؤثرين في هذه الأمة.**

تأمل في حال ابن تيمية الذي يقول عن نفسه: (إنه ليقف خاطري في المسألة التي تشكل علي، فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر، وينحلّ إشكال ما أشكل)[(١)]، **وقال عنه ابن القيم** رحمه الله: (حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي)[(٢)]، فلا ريب أن يفتح الله عليه بالحموية في جلسة بين الظهر والعصر[(٣)]، والواسطية في جلسة بعد العصر[(٤)]، والسياسة الشرعية في ليلة[(٥)]، **وقال عنه ابن القيم** رحمه الله: (وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سَنَنه وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبًا؛ فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمُعة أو أكثر)[(٦)].

٣ التعلق بالآخرة:

فهذا من أعظم البواعث للعمل للدين ونشر العلم قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ

(١) العقود الدرية ص٢٢.
(٢) الوابل الصيب ص٤٢.
(٣) العقود الدرية ص٤٩.
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٤).
(٥) المصدر السابق (٢٨/ ٢٤٤).
(٦) الوابل الصيب ص٧٧.

﴿ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقال تعالى عن سحرة فرعون ﴿لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٥٠]، وقال تعالى: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه:٧٢]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥].

وتأمل في حال النبي ﷺ وهو يحث أصحابه بذكر الجنة عند الشدائد فيقول: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**». فقال: عُمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «**نعم**»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**» قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمراتٍ من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتل(١).

وهذا أنس بن النَّضْرِ رضي الله عنه ثبت بعدما انكشف المسلمون يوم أُحد، وتقدم شوقًا للجنة، (فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم)(٢).

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٥١٠).
(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٩).

وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه اقتحم عن فرس له شقراء يوم مؤتة، فعقرها، ثم تقدم فقاتل، وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارد شرابها[١]

وهذا عبدالله بن رواحة رضي الله عنه كان يحث نفسه يوم مؤتة، ويقول:

أقسمتُ يا نفسُ لتَنزِلِنَّه ... طائعةً أو سوف تُكرَهِنَّه

إن أجْلَبَ الناسُ وشدُّوا الرَّنَّة ... ما لي أراك تكرهين الجنة[٢]

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٢٢).

نقض الميثاق

يا طالب العلم كيف يحلو لك كتمان العلم والبخل به وكنزه وإخوانك يعانون الجهل بربهم ودينهم؟! وقد توعد الله على ذلك؛ فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩] فتأمل كيف أن (ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها، فلعنهم اللاعنون حتى البهائم، كما أن معلِّم الخير يُصلّي عليه الله وملائكته، ويستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في جوف البحر، والطير في جو السماء)[(١)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: (إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان من كتاب الله تعالى ما حدّثت حديثًا ثم يتلو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٥٩] إلى قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠])[(٢)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٤].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٨٧).
(٢) أخرجه البخاري (١١٨).

مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩١-٩٣]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥]، وقال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١-٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠]، وجاء في الحديث: «**مَن سُئل عن علمٍ فكتمه ألجمه الله بلجام مِن نار يوم القيامة**»[١].

- **قال سفيان الثوري** رحمه الله: (مَن بخلَ بعِلمه ابتُلي بثلاث: إما أن ينساه ولا يحفظ، وإما أن يموت ولا ينتفع به، وإما أن تذهب كتبه)[٢].
- **وقال ابن تيمية** رحمه الله: (فتَرْكُ أهل العلم لتبليغ الدين كتَرْكِ أهل القتال للجهاد)[٣].

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، وصححه الألباني.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٤٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٨٧).

◇ **وقال الغزالي** رحمه الله: (اعلم أن كل قاعد في بيته، أينما كان، فليس خاليًا في هذا الزمان عن منكر، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم، وحملهم على المعروف؛ فأكثر الناس جاهلون بالشرع)[1].

فإذا كان هذا الحال في زمانه، فكيف في زماننا؟!!

وبُخلُ المرء وقعوده عن نشر العلم والدعوة إلى الله لن يضر الله ودينه شيئًا، بل لن يضر إلا نفسه، قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠].

واعلم بأن من أعظم أسباب القعود عن نشر العلم والدعوة إلى الله تعالى:

١ ضعف الإيمان:

الله ينادي عباده بوصف الإيمان، فكلما تحقق هذا الوصف فيهم زادت استجابتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٤٢).

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤٤ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٤-٤٥]، ولذا فلا مناص من تحقيق الإيمان وتجديده في النفوس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾ [النساء:١٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١]، وجاء في الحديث: «**إن الإيمان ليخْلَق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**»(١).

٢ الذنوب:

الذنوب شؤمها عظيم، فهي تتراكم على القلب حتى تمرضه وتميته، فيصبح قاسيًا منطمس البصيرة، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وعندها يفسد الجسد كله، ويتجلى ذلك على الجوارح، فلا يوفَّق المرء للخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ [آل عمران:١٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ﴾ [المائدة:٤٩]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [الأنعام:٦].

(١) أخرجه الطبراني (١٤٦٦٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٨٥).

٣ حب الدنيا:

وهو من أعظم الأسباب قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]، وجاء في الحديث: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[(١)]، وجاء في الحديث: «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشفّع**»[(٢)].

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

٤ عدم الصدق:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

٥ الخوف:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الزمر:٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

٦ ضعف استشعار المسؤولية:

فهذه المسؤولية الجسيمة **ليست على العلماء فقط**، بل تقع على الجميع، ولكنها على أهل العلم وطلابه آكد، **ومن أسباب ضعف استشعار المسؤولية عدم تصور الغاية من تلقي العلم، وأنه عبادة، ولابد من العمل به ونشره للعالمين، والصبر في سبيل ذلك**.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧]، وقال ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن: ٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٦٣]، وجاء في الحديث: «**بلِّغوا عني ولو آية**»[١]، وجاء في الحديث: «**ليبلِّغ الشاهد منكم الغائب**»[٢]، وجاء في الحديث: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل**»[٣]، وجاء في الحديث: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[٤].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الألباني.
(٤) أخرجه مسلم (٤٩).

٧ اليأس:

كلما ضعف اليقين في القلب حل به اليأس والقنوط والقعود، ودواء ذلك تعزيز اليقين وتعميقه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، فإذا استشعرت أنك تمتثل أمر الله وواجبه عليك بزكاة العلم ونشره، والدعوة إلى الله مهما كانت الظروف، ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨]، وأن النتيجة بيده لا بيدك ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود:٤٠] اجتهدت في بث ما تستطيعه من العلم ولو كان يسيرًا، جاء في الحديث: «**إنْ قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**»(١)، وحرصت على البذل والعطاء كحال الصحابة الذين قال الله عنهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢]، **وقال بكر أبو زيد** رحمه الله: (ولا تحملك دعوى فساد الزمان، وغلبة الفساق، وضعف إفادة النصيحة، عن واجب الأداء والبلاغ، فإن فعلت فهي فعلةٌ يسوق عليها الفساق الذهب الأحمر ليتم لهم الخروج على الفضيلة، ورفع لواء الرذيلة)(٢).

٨ توهم التصدر:

حذارِ أن تتعجل العطاء العلمي قبل البناء العلمي، أو أن تتوهم التعارض بين البناء والعطاء فتترك العطاء بالكلية تفرغًا للبناء، بل **الحقيقة أن بينهما تكاملًا، فالبناء يقوي العطاء، والعطاء يثبت البناء، ويرسخه بل ينميه**، والعطاء الجزئي يكون منذ اليوم الأول في البناء؛ لأنه يحتاج إلى

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩).
(٢) حلية طالب العلم ص٦٨.

تربية وارتياض - **وليس هذا من التصدر في شيء** - وعلى هذا كانت تربية النبي ﷺ لأصحابه، وإلا فقد يتعوَّد المرءُ مع طول العهد على القعود والبخل والتسويف وتضييع واجبات الوقت، وينبغي تغليب البناء في البداية مع شيء من العطاء الجزئي، ثم تتغير النسبة شيئًا فشيئًا، ويزداد العطاء بحسب مراحل البناء وتقدمه، **كالمال كلما زاد زادت زكاته**، وحقيق بمن هذا حاله أن يكون ممن يتعبد لله تعبدًا مطلقًا لا حظ للنفس فيه، فهو (ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أينما كانت، فمدار تعبده عليها)[(١)]، فلا تأسره وتحجبه لذة البناء عن لذة العطاء، ولا لذة العطاء عن لذة البناء، بل يدور مع مراد الله منه حيثما دار به، ولا ينشغل بنشر مُلح العلم وغرائبه ومفضوله عن صلبه ومحكماته وأصوله.

٩ الكسل:

إذا أردت أن تنفض غبار الكسل عن نفسك فتذكر لقاء الله، وسل نفسك: ماذا أعددت لذلك اليوم؟؟ وما هي الأعمال التي ستستمر بعد مماتي؟؟ واذهب إلى المقابر وذكِّر نفسك بأنك ستترك كل شيء، فما الذي يستحق أن تنشغل به عن دار الخلود، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، **وتذكَّر الجنة** وما فيها من النعيم، وماذا بذلت لها من مهر؟؟ **وتذكَّر النار** وما فيها من الوعيد الشديد إذا تركت الواجب الذي عليك، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

(١) مدارج السالكين (١/ ١٣٦).

ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩] فتأمل كيف أن (ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها، فلعنهم اللاعنون حتى البهائم، كما أن مُعلِّم الخير يصلِّي عليه الله وملائكته، ويستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في جوف البحر، والطير في جو السماء)(١).

١٠ التسويف:

هل تدري متى ستموت؟؟ وهل تضمن بقاء صحتك وقلة أشغالك؟؟ فعلام التسويف والتأجيل، واعلم بأن **من مداخل الشيطان أن يمنِّيك باللحظات الحالمة والمثالية التي لن تأتي**، وتذكَّر شأن كعب بن مالك حينما سوّف، وفاته الخروج مع رسول الله ﷺ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة:١١٨]، وتأمل مسارعة الجن في نشر ما تعلموه قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩]، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما أسلم ذهب مباشرة ودعا إلى الله فأسلم مجموعة من العشرة المبشرين بالجنة، وسعد بن معاذ عندما أسلم دعا قومه فأسلموا جميعًا، وأبو هريرة رضي الله عنه عندما أسلم دعا أمه إلى الإسلام وطلب من النبي ﷺ أن يدعو الله لها فأسلمت، والطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه عندما أسلم رجع إلى قومه ودعاهم للإسلام ثم قدم على النبي ﷺ بمن أسلم من قومه، فتأمل كيف أنهم سارعوا في نشر ما تعلموه ولو كان يسيرًا.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/١٨٧).

الوصايا العشر

١ اعقد عزمك على تحصيل هذه الفضائل والأجور العظيمة، واتخذ خطوات عملية واضحة وجادة تلزم بها نفسك، فوسائل نشر العلم كثيرة ومتنوعة، وإذا فاتك بعضها فلا يفوتنك البعض الآخر، ومنها ما يلي: التعليم، والفتوى، والبحث، والتأليف، وتحقيق التراث، والخطابة، والوعظ، ودعوة الجاليات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورد الشبهات، وتأسيس الكيانات العلمية وإدارتها، والظهور الإعلامي، والنشر في وسائل التواصل الاجتماعي، والاستشارات، والتوجيه والتربية العلمية للطلاب، والمساهمة في طباعة الكتب وتوزيعها، وكفالة طلاب العلم والمعلمين.

٢ عليك البدء بالتدرج في نشر العلم على حسب قدراتك ومرحلتك في البناء وأولويات الواقع وواجب الوقت، وأدمن الاستعانة بالله وطلب الهداية منه، مع دوام الاستخارة والاستشارة، والاستفادة من الوسائل الحديثة في اكتشاف القدرات الشخصية، مع الحرص على التجربة والممارسة، حتى تتكشف لك قدراتك وشغفك، والفرص المتاحة أمامك، ومن ثم ينبغي عليك التركيز حتى تبدع فيما فتح الله عليك، وتصنع للأمة مشاريع عمر تبقى بعد مماتك، واحذر من التشتت، فقد يناسبك الجمع بين أكثر من وسيلة وقد لا يناسبك، فالشيخ بكر أبو زيد (كان يرى من نفسه أن موهبته في قلمه خير من موهبته في تدريسه أو مخالطته للطلبة والناس، فاستغل هذه الموهبة فآتت أكلها ضعفين بحمد الله، وهذا من أحسن ما يوفق له

الإنسان أن يعرف كل واحد قدراته، وكيف يستغلها، ويعكف على تنميتها ليبدع فيها، أما تشتيت النفس وتقسيم الهمم، والدخول في كل باب، فيذهب الطاقات هدرًا، والجهود سدى)[(١)].

٣ **أوصيك أن تنشر علمك بحكمة،** فقد **قال علي** رضي الله عنه: (حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكّذب الله ورسوله)[(٢)]، **وقال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قومًا حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)[(٣)].

٤ **إياك أن تنكر على غيرك فيما فتح الله عليه إذا كان الذي يعمله غاية وسعه،** فثغور الأمة كثيرة، وقدرات الناس تختلف كأرزاقهم، وقد كتب عبد الله العمري العابد إلى الإمام مالك رحمهما الله يحثه على التفرغ للعبادة، فكتب إليه مالك: (إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرُبّ رجل فُتح له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة، ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الجهاد، فنشْرُ العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيتُ بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر)[(٤)].

٥ **لا تنشر إلا ما علمته، واحذر من القول على الله ورسوله بلا علم،** قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦]، وجاء في

(١) نثار السيرة وثمار الصحبة ص٩٩.
(٢) أخرجه البخاري (١٢٧).
(٣) أخرجه مسلم (٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ١١٤).

الحديث: «**إنَّ كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمدًا فليتبوّأ مقعده من النار**»[(١)].

٦ **عليك بإخلاص النية، فهذا من أعظم وسائل اكتساب التضحية والبركة في بث العلم**، هذا موطأ مالك ﵀ عندما صنفه قيل له: (شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب، وقد شركك فيه الناس وعملوا أمثاله، فقال: (ائتوني بما عملوا)، فأُتي بذلك، فنظر فيه ثم نبذه، وقال: (لتعلمُنّ أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله)، فكأنما ألقيت تلك الكتب في الآبار، وما سُمع لشيء منها بعد ذلك بذكر)[(٢)]، **وهذا هو إكسير الإنجاز، وبه سيسترخص المرء كل ما يبذله من جهد ووقت ومال، بل سيتلذذ بما يصيبه من آلام ومشاق وتضحيات**، **قال عبدالفتاح أبو غدة** ﵀: (كثير من العلماء الذين ملأ طيب ذكرهم المشارق والمغارب، وأوتوا مواهب ذاتية فذة، وطاقات علمية نادرة، وعبقرية عجيبة مدهشة، قد نمت فيهم هذه الفضائل، وتزايدت هذه المزايا، حينما شعروا أنهم يبذلونها في خدمة الشريعة وأتباعها، ونصرة الإسلام ونشره؛ فغمرهم شعور الرضا وشرف المقصد والغاية، ورأوا أن ما هم فيه من الفقر والجوع والنَّصَب، والتقشف في الملبس والمسكن، جزء من النعيم العاجل، الذي لو علم به الملوك لقاتلوهم عليه بالسيوف، فطابت نفوسهم، وجادت مواهبهم، ورأوا أن الفناء في هذه السبيل هو الطريق الأمثل لرضوان الله.. فلله درهم، ولله ما نالوا عاجلًا وآجلًا)[(٣)].

٧ **استحضر عظيم الجهد الذي بذله علماء الإسلام**، الذين جادوا بأنفسهم لربهم ودينهم في سبيل نقل هذا العلم إلى من بعدهم، فالمِداد والورق

(١) أخرجه البخاري (١٢٩١).
(٢) التمهيد (١/ ٧٠٤).
(٣) صفحات من صبر العلماء ص٣٥٨.

والضوء، وقلة المال، وتباعد الأقطار، ومشقة الأسفار والتغرب، وركوب الأخطار، وشظف حياتهم المعيشية، كل ذلك لم يكن ليثني عزيمتهم، ويحول بينهم وبين تحقيق المراد، بل ضحوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس، وآثروه على الراحة والنوم والطعام ومقابلة الخلان، و(جاؤوا بالعجب العجاب، الذي خضع له وأذعن لفضله الأعداء قبل الأصدقاء، وكانت همة كثير منهم أقوى من جسمه، وعزيمته أمضى من قلمه، ومن كانت هذه حاله؛ لم يعز عليه مطلب، ولم يند عنه مأرب)[1]، **وقال عبدالفتاح أبو غدة** رحمه الله: (علوم الإسلام العظيم لم تدوَّن على ضفاف الأنهار، وتحت ظلال الأشجار والأثمار، وإنما دوِّنت باللحم والدم، وظمأ الهواجر، وسهر الليالي على السراج الذي لا يكاد يضيء نفسه، وفي ظل العري والجوع وبيع الثياب، وانقطاع النفقة في بلد الاغتراب، والرحل المتواصلة المتلاحقة، والمشاق الناصبة المتعانقة، والصبر على أهوال الأسفار، وملاقاة الخطوب والأخطار، والتيه في البيد والغرق في البحار، وفقد الكتب العزيزة الغالية، والأسفار، وحلول الأمراض والأسقام، مع البعد عن الأهل والزوجة والأولاد والدار، ومفارقة الأقارب والأحباب والأصحاب ونقد الاستقرار)[2].

٨ خض جسر التعب، وهوّن على نفسك، فهو - واللهِ - سيُنسى، وسيبقى الأجر؛ فالمرء إذا تعب طوال الأسبوع، ثم ارتاح في يوم واحد، ذهب عنه ما يجده، وهكذا الدنيا مع الآخرة، كل ما سيبذله الإنسان في هذه الدنيا من تعب ومن وقت وجهد، ثم في الآخرة (يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويُؤتى بأشد الناس

(١) صفحات من صبر العلماء ص٣٩٢.
(٢) المصدر السابق ص٣٦٧.

بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ صبغة في الجنة، فيُقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط)[١] يقول ابن القيم: (المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تُنال إلا بحظٍّ من المشقة، ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له)[٢].

٩ احذر من سوء النية؛ لئلا يكون نشر العلم وبالًا وحجة عليك، فقد جاء في الحديث: «**إنَّ أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استُشهد. فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء. فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن. فأُتي به. فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلَّمته وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليُقال عالم. وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ. فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار**»[٣]، وجاء في الحديث: «**لا تعلَّموا العلم لتُباهوا به العلماء، أو لتماروا به السفهاء، أو لتصرفوا وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار**»[٤].

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠١).
(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٥).
(٣) أخرجه مسلم (١٩٠٥).
(٤) أخرجه ابن ماجه (٢١٠)، وحسنه الألباني.

١٠ **تمثّل كلامك وانتفع به في نفسك؛ حتى يكون له الأثر**، فالنائحة الثكلى ليست كالمستأجرة، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]، **وقال جندب بن عبدالله البجلي** رضي الله عنه: (إن مثل الذي يعظ الناس وينسى نفسه كالمصباح يحرق نفسه ويضيء لغيره)[١].

وقال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله، وتروى للعرزمي:

يا أيها الرجل المعلِّم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

ونراك تلقح بالرشاد عقولنا ... صفة وأنت من الرشاد عديم

لا تنه عن خُلق وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

هناك تُقبَل إن وعظتَ ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم[٢]

وختامًا... بماذا ستلقى الله تعالى؟؟ وماذا قدّمت للإسلام والمسلمين؟؟

والعجب منك بعد كل هذا كيف تعجز وتترك نشر العلم وزكاته والدعوة إلى الله تعالى، وأنت ترى انتشار الشهوات والشبهات، وترى إخوانك يعانون الجهل بربهم ودينهم، **قال ابن باز** رحمه الله: (يجب أن تحرص على نشر العلم بكل نشاط وقوة، وألّا يكون أهل الباطل أنشط في باطلهم، وأن تحرص على نفع المسلمين في دينهم ودنياهم)[٣]!!

اللهم استعملنا في خدمة دينك.. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٤٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ٦٧٤).
(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٦/ ٥٣).

متن زكاة العلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا متنٌ ميسرٌ للحفظ، اجتهدت في جمعه وترتيبه وتذهيبه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي **تحث النفوس وتشوقها وتستنهض همتها وعزيمتها لبذل الوسع واستفراغه في نشر العلم والدعوة إلى الله**، فالوحي (الذي كوّن رجالَ السلفِ لا يكثر عليه أن يكوّن رجالًا في الخلَف لو أحسن فهمه وتدبره، وحملت الأنفس على منهاجه)[1]، وهو الذي صنع الصحابة ومن بعدهم، وبعثهم وأحياهم، وصاغ عقولهم ونفوسهم، وهو المعين الصافي الذي كانوا يرتوون منه، (ولا يُصلِح آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولَها)[2]، وقد حوى المتن الأبواب الآتية:

(١) باب الاصطفاء لنشر العلم والدعوة إلى الله.

(٢) باب شرف نشر العلم والدعوة إلى الله.

(٣) باب ثِقل الأمانة وغِلظ الميثاق.

(٤) باب الصبر على نشر العلم والدعوة إلى الله.

(١) آثار ابن باديس (٢/ ١٤٢).
(٢) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٨).

(٥) باب التزود من العبادة.

(٦) باب التعلق بالآخرة والتحذير من فتنة الدنيا.

(٧) باب ذم كتمان العلم والبخل به.

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، ويجعله من زكاة العلم، وأن يكون من العلم النافع الذي يُنتفع به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

باب الاصطفاء لنشر العلم والدعوة إلى الله

(١) قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج:٧٥].

(٢) وقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٤].

(٣) وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء:١١٣].

(٤) وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

(٥) وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه:١٣].

(٦) وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

(٧) وجاء في الحديث: «**لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالًا فسلّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها**».

أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

بـاب شرف نشر العلم والدعوة إلى الله

(١) قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

(٢) وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

(٣) وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

(٤) وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧].

(٥) وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

(٦) وجاء في الحديث: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٧) وجاء في الحديث: «**مَن دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**». أخرجه مسلم (١٨٩٣).

(٨) وجاء في الحديث: «**لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**». أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٩) وجاء في الحديث: «**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات**». أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

(١٠) وجاء في الحديث: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به**». أخرجه البخاري (٧٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٢٨٢).

(١١) وجاء في الحديث: «**إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على مُعلِّم الناس الخير**». أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، وصححه الألباني.

(١٢) وجاء في الحديث: «**مَن غدا إلى مسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلّمه، كان له كأجر حاج تامًّا حجته**». أخرجه الطبراني (٧٤٧٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٨٦): حسن صحيح.

(١٣) وجاء في الحديث: «**نضَّر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلّغه كما سمعه**». أخرجه الترمذي (٢٦٥٧)، وصححه الألباني.

باب ثِقل الأمانة وغِلظ الميثاق

(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

(٢) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران:١٨٧].

(٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥].

(٤) وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩].

(٥) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧].

(٦) وقال : ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾[الجن: ٢٢-٢٣].

(٧) وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢].

(٨) وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة:٢].

(٩) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢].

(١٠) وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩].

(١١) وجاء في الحديث: «**بلّغوا عنّي ولو آية**». أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(١٢) وجاء في الحديث: «**ليبلّغ الشاهد منكم الغائب**». أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

(١٣) وجاء في الحديث: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل**». أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الألباني.

(١٤) وجاء في الحديث: «**سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبًا مرحبًا بوصية رسول الله واقنوهم**» قلت للحكم: ما اقنوهم؟ قال: علموهم. أخرجه ابن ماجه (٢٠٣)، وحسنه الألباني.

(١٥) وجاء في الحديث: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». أخرجه مسلم (٤٩).

باب الصبر على نشر العلم والدعوة إلى الله

(١) قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

(٢) وقال: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

(٣) وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

(٤) وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

(٥) وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

(٦) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

(٧) وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

(٨) وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

(٩) وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ٥-١٠].

(١٠) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

(١١) وقال هرقل لأبي سفيان رضي الله عنه: (فكذلك الرسل تُبتلى ثم تكون لهم العاقبة). أخرجه البخاري (٢٨٠٤)، ومسلم (١٧٧٣).

(١٢) وقال ورقة بن نوفل رضي الله عنه: (ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أوَ مخرجي هم؟**» قال: نعم، لم يأتِ رَجُلٌ قط بمثل ما جئتَ به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا) . أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(١٣) وجاء في الحديث: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛ فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقّة ابتُلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**». أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وصححه الألباني.

(١٤) وجاء في الحديث: «**قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض، فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه**». أخرجه البخاري (٦٩٤٣).

(١٥) وجاء في الحديث: «**إنَّ مِن ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم**»، قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «**بل أجر خمسين منكم**». أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٤).

بـاب التزود من العبادة

(١) قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

(٢) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥].

(٣) وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٥-٣٤].

(٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤].

(٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

(٦) وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣].

(٧) وقال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه:٤٢].

(٨) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝٩٨ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩].

(٩) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

(١٠) وجاء في الحديث: «**كان النبيُّ ﷺ إذا حزبه أمر صلّى**». أخرجه أبو داود (١٣١٩)، وحسنه الألباني.

(١١) وجاء في الحديث: «**قام النبي ﷺ حتى تورّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

أخرجه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).

بـاب التعلق بالآخرة والتحذير من فتنة الدنيا

(١) قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

(٢) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨].

(٣) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

(٤) وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

(٥) وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

(٦) وقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٢٣].

(٧) وقال تعالى عن سحرة فرعون: ﴿لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٥٠].

(٨) وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥].

(٩) وجاء في الحديث: «**تعسَ عبدُ الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي وإن لم يُعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشفّع**». أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(١٠) وجاء في الحديث: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا، وكراهية الموت**». أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وصححه الألباني.

باب ذم كتمان العلم والبخل به

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

(٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩].

(٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٤].

(٤) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢].

(٥) وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

(٦) وقال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

(٧) وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

(٨) وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٣٧].

(٩) وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

(١٠) وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠].

(١١) وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

(١٢) وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩].

(١٣) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦].

(١٤) وجاء في الحديث: «**مَن سُئل عن عِلمٍ فكتمه، أَلجمَهُ اللهُ بلجامٍ مِن نار يوم القيامة**». أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، وصححه الألباني.

معــــالم

الإنجــاز البحثي

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا طالب في مرحلة الدراسات العليا، طُوِيَ قيدُه الدراسي؛ لانتهاء مدة تسليم البحث!!

وآخر مكث ١٣ سنة في مرحلة الدراسات العليا!! وذاك هجر بحثه نفورًا منه، فلم يكتب فيه حرفًا لمدة ثمانية أشهر، رغم التفرغ وتوفر الوقت!!

إلى غير ذلك من المعاناة المؤلمة، التي تكررت على مسامعي؛ مما حداني للقاء الباحثين المنجزين؛ حرصًا على توصياتهم وتجاربهم، مع التأمل في أخبار العلماء المبرزين في التأليف، مستلهمًا الوسائل المعينة على الإنجاز، وأردفت ذلك بحضور عدة لقاءات عن موضوع مهارات إنجاز الرسائل العلمية، ثم ألقيت ذات الموضوع عدة مرات، وأقمت برنامج الإنجاز البحثي[(١)]، وفتحت باب الاستشارات لطلبة الدراسات العليا؛ فظهر لي بذلك طرف كبير من معاناتهم والصعوبات التي تواجههم.

فاستخرت الله تعالى في تأليف كتاب يحوي أهم معالم الإنجاز البحثي،

(١) هو: برنامج معين على إنجاز الرسائل العلمية، بالتعاون مع شركة نديم، عبر بيئة تحفيزية، واستشارات بحثية، ولقاءات مهارية، ومتابعة يومية.

التي لا يُستغنى عنها، وهي: الشغف والتركيز والتضحية والمداومة، ثم أتبعت ذلك بالوصايا العشر، ورجوت به إعانة طلبة الدراسات العليا والباحثين في التخصصات الشرعية، وإيقاد هممهم وعزائمهم؛ ليزداد المنجز منهم إنجازًا، ويشتعل الفاتر نشاطًا، ويتخذونه حاديًا وأنيسًا.

أسأله - سبحانه - أن يتقبل هذا العمل، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون من العلم الذي ينتفع به، وأن يثقّل به موازين والديَّ الكريمين، ومشايخي الفضلاء، وكل من أفادني برأي ومشورة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الشغف

قال أبو الفضل العجلي رحمه الله:

(إن هذه الأوراق تحل منا محل الأولاد).

(تاريخ دمشق ٣٤/١١٨)

الشغف بالبحث دافع داخلي للإنجاز، لا يقف في وجهه شيء - بإذن الله -، ولا ينتظر المرء معه محفزات خارجية، وبه تنقلب المشاق إلى لذائذ، وهو يحث السير ويحدو ركاب الهمة؛ لأن (من ذاق لذة شيء قويت همته في تحصيله)[١].

◈ **يقول ابن عقيل الحنبلي** رحمه الله: (إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره)[٢].

◈ **ويقول**: (أنا أقصّر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبز؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرًا على مطالعة أو تسطير فائدة لم أدركها فيه)[٣].

◈ **وأما أبو جعفر الطبري** رحمه الله: فـ (قبل موته، وتوفي بعد ساعة أو أقل

(١) عدة الصابرين ص٤٦.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٤).
(٣) المصدر السابق (١/ ٣٢٥).

منها، ذكر له دعاء؛ فاستدعى محبرةً وصحيفةً فكتبه، فقيل له: أفي هذه الحال؟ فقال: ينبغي للإنسان أن لا يدع اقتباس العلم حتى يموت)[١].

◊ **ومن عجيب أمر الحسين بن القاسم اليمني** رحمه الله: (أنه صنف كتبه وهو يتنقل في ميادين القتال)[٢].

◊ **وقد دخل ابن النفيس** رحمه الله مرة إلى الحمام، فلما كان في بعض تغسيله خرج واستدعى بدواة وقلم وورق، وأخذ في تصنيف مقالة في النبض إلى أن أنهاها، ثم عاد ودخل الحمام وكمّل تغسيله[٣].

◊ **يقول ابن عبد الهادي عن ابن تيمية** رحمهما الله: (لا تكاد نفسه تشبع من العلم؛ فلا تروى من المطالعة، ولا تملّ من الاشتغال، ولا تكلّ من البحث)[٤].

◊ **وأما موسى بن محمد بن عبدالملك**، فيقول عنه ابنه علي رحمهما الله: (ومما شاهدت من عجائبه أنه عاش سبعًا وستين سنة، ولم أره يومًا يخلّي مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده، حتى إن أيام الأعياد لا يخليها من ذلك، ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب، فقلت له: يا سيدي، أفي هذا اليوم لا تستريح؟! فنظر إلي كالمغضب، وقال: أظنك لا تفلح أبدا، أترى الراحة في غير هذا؟ والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها، ولوددت أن الله تعالى يضاعف عمري حتى أتم كتاب المغرب على غرضي. قال: فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله، لا ألتذّ بنعيم غير ما ألتذ به من هذا الشأن، ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف إلى ما تراه)[٥].

(١) انظر: الجليس الصالح ص٣٤٢.
(٢) الأعلام (٢/ ٢٥٢).
(٣) انظر: الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٨٤).
(٤) العقود الدرية ص٢١.
(٥) نفح الطيب (٢/ ٣٣٣).

◊ **وقال ياقوت الحموي** رحمه الله عن كتابه معجم الأدباء: (ولو أنني أنصفته في محبتي لجلدته جلدي وصندقته عظمي)[(١)].

◊ **و قال الطبراني** رحمه الله عن كتابه المعجم الأوسط: (هذا الكتاب روحي)[(٢)].

◊ **وقال جمال الدين القاسمي** رحمه الله: (إذا تركت القلم أو الكتاب فأراني كالسمك إذا فارق الماء)[(٣)].

فيا ترى ما مشاعرنا تجاه أبحاثنا وأقلامنا؟!!

من الوسائل المعينة على اكتساب الشغف:

١ الدعاء وكثرة العبادة:

التوفيق وانشراح الصدر، والهمة العالية، بيد الله عز وجل، فمن الناس من يُغلِق عليه بابه ويتفرغ من الأشغال، والكتب حوله، وهو بكمال صحته، ومع ذلك لا يستطيع أن يبحث أو يكتب، وبعضهم يمكث على هذه الحال شهورًا، فنفسك التي بين جنبيك لا تستطيع أن تحرك فيها الدوافع وتحجب عنها الموانع إلا بإذن الله ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾؛ فعلى الباحث أن يتبرأ من حوله وقوته، ويتعلق بربه، ويستعين به، ويسأله الهداية؛ وإلا سيخذل، قال ابن تيمية رحمه الله: (قد يكون الرجل من أذكياء الناس، وأحدّهم نظرًا، ويعميه عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أبلد الناس وأضعفهم نظرًا، ويهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فلا حول ولا قوة إلا به، فمن اتّكل على نظره واستدلاله، أو عقله ومعرفته؛ خذل)[(٤)].

---

(١) معجم الأدباء (١/ ١٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٢).
(٣) جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام ص ٢٣٤.
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤).

ومن الناس من هو في قمة الانشغالات، وقد نهشته الأمراض، ومع ذلك هو من أسرع الناس إنجازًا في البحوث والمؤلفات، وسائر الأعمال؛ وسر هذا هو التعلق بالله، وكثرة دعائه وعبادته، مع صلاح القصد، فهذا هو الباب الأعظم لاستمطار الفتوحات والعون والبركة.

◈ **قال الطبري رحمه الله عن تفسيره:** (سألته العون على ما نويته ثلاث سنين، قبل أن أعمله؛ فأعانني)[١].

◈ **وقال ابن خزيمة رحمه الله:** (كنت إذا أردت أن أصنف الشيء أدخل في الصلاة مستخيرا؛ حتى يفتح لي، ثم أبتدئ التصنيف)[٢].

◈ **وقال الحاكم رحمه الله:** (شربت ماء زمزم، وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف)[٣].

◈ **وقال البخاري رحمه الله:** (ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين[٤]، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين)[٥].

ولذا؛ فلا عجب حين يرى المرء نتاجهم الكبير في العمر القصير؛ وذلك أنهم جمعوا إلى العلم النافع العمل الصالح، ومن الناس من يتوهم أنه إذا أراد الإنجاز وكسب الوقت خفف من نوافل العبادات، والحقيقة أن البركة في الوقت، والفتح من الله، وانشراح الصدر والقوة في البدن سببها الإكثار من الدعاء والتعبد، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، والذي ينظر في حال الأنبياء عليهم السلام، وهم أكثر الناس شغلًا، يجد أنهم أكثر الناس

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٤).
(٢) المصدر السابق (١٤/ ٣٦٩).
(٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٦٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٢).
(٥) المصدر السابق (١٢/ ٤٠٤).

عبادة، وكذا كان شأن الصحابة والمصلحين والمؤثرين في هذه الأمة.

◈ **هـذا ابـن تيمية رحمه الله يقـول عـن نفسـه:** (ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير، ثم أسأل الله الفهم وأقول: (يا معلم آدم وإبراهيم علمني)، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى وأقول: (يا معلم إبراهيم فهمني))[١]. ويقول: (إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحاجة التي تشكل علي، فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر، وينحلّ إشكال ما أشكل. قال: وأكون في ذلك في السوق أو المسجد أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر أو الاستغفار، إلى أن أنال مطلوبي)[٢].

◈ **وقال عنه ابن القيم رحمه الله:** (حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي)[٣].

فلا ريب أن يفتح الله عليه بهذا؛ فينجز المؤلفات العميقة المباركة في الوقت اليسير، كالحموية في جلسة بين الظهر والعصر[٤]، والواسطية في جلسة بعد العصر[٥]، والسياسة الشرعية في ليلة[٦].

◈ **وقال عنه:** (وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سَنَنه وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبًا؛ فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما

(١) العقود الدرية ص٤٢.
(٢) المصدر السابق ص٢٢.
(٣) الوابل الصيب ص٤٢.
(٤) العقود الدرية ص٤٩.
(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٤).
(٦) المصدر السابق (٢٨/ ٢٤٤).

يكتبه الناسخ في جمُعة أو أكثر)[١].

٢ إدراك الشـــرف:

استشعر أنك مقبل على أمر عظيم، ترجو ذخره عند الله، فقد جاء في الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢].**وكما قال ابن الجوزي** رحمه الله: (تصنيف العالم ولده المخلّد)[٣].

ولتعلم أنك تسعى لتحصيل الملكة البحثية، والتي هي وسيلة من وسائل طلب العلم، والوسائل لها أحكام المقاصد.

وقد اختارك الله من بين الناس، ويسر لك الظروف، وهذه نعمة تغبط عليها؛ فخذ الأمر بحقه، وكن على قدر المسؤولية؛ فأنت ترابط على ثغر من ثغور العلم لاستخراج دقائقه، **قال عبدالله بن المعتز** رحمه الله: (بالبحث والنظر تستخرج دقائق العلوم)[٤].

٣ اختيـــار الموضوع المنـــاسب:

الموضوع المفيد، الذي يتناسب مع ميول الباحث، حقيق بالشغف، وسيعتبره المرء ولدًا له، يراه يكبر يومًا بعد يوم، وسيهتم بإنضاجه وإتقانه؛ لأنه ولد من رحم المعاناة والاهتمام، **قال ابن حزم** رحمه الله: (من مال بطبعه إلى علم ما، وإن كان أدنى من غيره، فلا يشغلها بسواه، فيكون كغارس النارجيل بالأندلس، وكغارس الزيتون بالهند، وكل ذلك لا ينجب)[٥].

(١) الوابل الصيب ص٧٧.
(٢) أخرجه مسلم رقم (١٦٣١).
(٣) صيد الخاطر ص٣٧.
(٤) الفقيه والمتفقه (١/ ٣٣٥).
(٥) الأخلاق والسير ص٦٥.

◈ **وقال ابن الجوزي** رحمه الله: (إن الله ﷻ لما أراد بقاء العلم؛ لأنه الدليل عليه؛ جعل بين طباع الناس وأصناف العلم مناسبة جوهرية، وعلاقة خفية، فينجذب كل طالب علم إلى ما يناسب جوهريته؛ لينحفظ بجملتهم العلم)[١].

ومن الناس من يتوهم تلازم التعارض بين نفاسة الموضوع وسرعة الإنجاز، فيتطلب رخيص الموضوعات طمعًا في سرعة الإنجاز!! وهذا ليس بلازم، بل الحقيقة والتجارب تفيد العكس - أن نفاسة الموضوع محرك عظيم للإنجاز، وأن من أكمل الدوافع لاستتمام البحث وإنجازه اليقين بعظيم نفعه لقضايا المسلمين، أو جليل أثره في تخصص العلم، فعندها سيصبح المرء لا يرى الوجود والحياة إلا في الشأن الذي هو بصدده، وسيجمع خاطره في ذلك، وسيسترخص كل ما يبذله دون تلك الغاية.

(١) آفة أصحاب الحديث ص١٧٧.

التركيز

قال ابن الجوزي رحمه الله:

(جمع الهم أصل الأصول).

(صيد الخاطر ص٩٢)

التركيز يثمر الإنجاز، وهو الذي يصنع المشاريع الكبيرة والقضايا التي تستحق العيش، والرسالة التي يموت الإنسان في سبيل تحقيقها، فالذي يتخصص في مجال محدد، أو مهارة معينة؛ تصبح بؤرة التركيز لديه كبيرة جدا، وجادة للدرجة التي لا يجد نفسه إلا في فكرته ومشروعه؛ وبذلك يصنع المرء تاريخًا صالحًا للاقتداء والاهتداء به(١).

ويتأكد الحديث عن التركيز خاصة في هذا العصر، الذي كثرت فيه المشتتات، وهي من أعظم ما يعانيه طلبة الدراسات العليا، ونتيجة لتلك المشتتات، وعدم التركيز أو قلته؛ يضعف إنتاج الباحث، وقد يُعدم.

ومن أعظم أسباب التشتت: التوسع والإسراف في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، والتي (تفرض على طالب العلم المُلابِس لها نمطا من المعارف المُلَحِيَّة التي تناسب الفضاء العام؛ فتستهلك وقته وجهده؛ حتى لا يكاد يبصر من العلم إلا ما كان منه على وزانها ومساحتها، حتى لو جمع همه

(١) انظر: التركيز ص١٨.

على العلم فإنه يجمع همه على نوع من المعارف العجفاء التي لا تنقي)[(١)].

◈ **ومعلوم أن** (العلم صناعة القلب وشغله، فما لم يتفرغ لصناعته وشغله؛ لم ينلها)[(٢)]. وكما **قال ابن جماعة** رحمه الله: (الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق وغموض الدقائق)[(٣)].

◈ **هذا الشافعي** رحمه الله: (كانت له جارية سوداء تخدمه، وكان يعمل الباب من العلم ثم يقول: يا جارية، قومي إلى القَدَّاح، فتقوم فتسرج له، فيكتب ما يحتاج أن يكتبه، ويرسمه في موضعه، ثم يطفئ السراج ويستلقي على ظهره، فيعمل الباب من العلم، ثم يقول: يا جارية، قومي إلى القَدَّاح، فتقوم وتسرج له، فيكتب الباب من العلم، ويرسمه في موضعه، ثم يطفئ السراج، فكان على هذا منه. فقلت: يا أبا عبدالله، لو تركت السراج يقد؛ فإن هذه الجارية منك في جهد؟ قال: إن السراج يشغل قلبي)[(٤)].

◈ **وكان العلاء بن النفيس** رحمه الله: (إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية، ويدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ في التصنيف إملاء من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كلَّ القلم وحفي رمى به، وتناول غيره؛ لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم، وكان يكتب من صدره من غير مراجعة حال التصنيف)[(٥)].

◈ **وكان لمحمد بن سحنون** رحمه الله: (سُرّيّة يقال لها أم مُدام، فكان عندها يومًا وقد شُغل في تأليف كتاب إلى الليل، فحضر الطعام، فاستأذنته ليأكل،

---

(١) ارتياض العلوم ص٧٤.
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٠٠).
(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص٣٥.
(٤) مناقب الشافعي (١/ ٢٣٧).
(٥) الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٨٣).

فقال لها: أنا مشغول الساعة. فلما طال عليها، جعلت تلقمه الطعام، حتى أتت عليه، وتمادى هو على ما هو فيه إلى أن أُذن لصلاة الصبح، فقال: شُغلنا عنك الليلة يا أم مدام، هات ما عندك، فقالت: قد والله يا سيدي ألقمته لك، فقال لها: ما شعرت بذلك)[١].

◊ **وأما الشيخ/ بكر أبو زيد** رحمه الله: فـ (كان يرى من نفسه أن موهبته في قلمه خير من موهبته في تدريسه أو مخالطته للطلبة والناس؛ فاستغل هذه الموهبة؛ فآتت أكلها ضعفين، بحمد الله، وهذا من أحسن ما يوفق له الإنسان أن يعرف كل واحد قدراته وكيف يستغلها، ويعكف على تنميتها؛ ليبدع فيها. أما تشتيت النفس، وتقسيم الهم، والدخول في كل باب؛ فيذهب الطاقات هدرا، والجهود سدى)[٢].

◊ **وفي ذلك يقول د. مشعل الفلاحي** - حفظه الله -: (قد جربت في حياتي هذا المعنى، خاصة في التأليف، وخرجت منه بفوائد كبيرة، تفوق في مرات كثيرة الوصف، فغالب كتبي هي نتيجة لهذه الفضيلة؛ فكتاب (ابدأ كتابة حياتك) أصل فكرته وسطوره لم تتجاوز العشرة الأيام، وكتاب (في ظلال السيرة النبوية) لم أغمد قلمي منه حتى بلغت منه المقصود، وأعظم الذكريات وأتمها نعمة علي كتابي (رحلة تدبر) للقرآن الكريم، كاملا تم في حدود ستة أشهر متوالية، تبلغ ساعات العمل في اليوم الواحد ثلاث عشرة ساعة، لا أقوم منه إلا إلى صلاة أو طعام، حتى كتب الله تعالى له التمام، للدرجة التي أنهيت بعض سور القرآن وأنا في المطار، وبعضها وأنا على متن الطائرة، وثالثة وأنا في الطريق العام، وتمت كتابة المقدمة لذلك

(١) ترتيب المدارك (٣/ ٢١٥).
(٢) نثار السيرة وثمار الصحبة ص٩٩.

المشروع وأنا على سفر في انتظار وجبة إفطار في أحد المطاعم في ذلك المكان، وما زلت - بحمد الله تعالى - أنهي جملة كبيرة من مشاريعي من خلال هذا المعنى، وتمر بي لحظات في هذه الفضيلة لا أستطيع أن أرتب مكتبتي، أو أنقل كتابا من طريقي، أو أصنع شيئا.. حتى لا يأخذ وقتا مني، وإذا أراد الإنسان شيئا صنعه، وإذا تعلق قلبه بفكرة أو مشروع أتى عليه بكل ما يمكن، وصنع فيه التحديات)[(١)].

وأعرف من طلاب الدراسات العليا من عاش معنى التركيز، وأنجز كتابة رسالة الماجستير في ٢٨ يومًا، ومنهم من أنجز كتابة رسالة الدكتوراة في ٣٨ يومًا.

◈ التركيز لا يعني عدم التوازن:

على المرء أن يوازن بين الواجبات التي عليه، ويحسن إدارة وقته وتنظيمه؛ فقد جاء في الحديث: (إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقًا؛ فأعط كل ذي حق حقه)[(٢)]. فإذا حقق نجاحا في مجاله، ثم أهمل أسرته، أو قصّر في وظيفته، أو في صلة رحمه، أو تهاون في المحافظة على صحته، أو في أي واجب من الواجبات الشرعية؛ فإن هذا الفشل سيلتهم نجاحه، وسيجعله في عداد المخفقين حالًا أو مآلًا، ولو كان يمسك بعنان السماء في مجاله[(٣)]. **يقول ابن جماعة** رحمه الله: (لا يحمل نفسه من ذلك فوق طاقتها؛ كيلا تسأم وتمل، فربما نفرت نفرةً لا يمكنه تداركها، بل يكون أمره في ذلك قصدًا، وكل إنسان أبصر بنفسه)[(٤)].

(١) التركيز ص٧١-٧٢.
(٢) أخرجه البخاري رقم (١٩٦٨).
(٣) انظر: التركيز ص١٥١.
(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص١٧.

من الوسائل المعينة على اكتساب التركيز:

١ الزهد في فضول الدنيا والإقبال على الله والدار الآخرة:

جاء في الحديث: «**من كانت الآخرة همه؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**»[(١)].

◈ **قال ابن جماعة** رحمه الله: (الاقتصار على الميسور، وقدر الكفاية من الدنيا، والقناعة بذلك عن شغل القلب بالتعلق بها، وغلبة الفكر وتفريق الهم بسببها، فإن انصراف القلب عن تعلق الأطماع بالدنيا والإكثار منها، والتأسف على فائتها؛ أجمع لقلبه وأروح لبدنه)[(٢)].

◈ **وقال ابن القيم** رحمه الله: (شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى)[(٣)].

◈ **يقول الألباني** رحمه الله **عن نفسه**: (من توفيق الله تعالى وفضله علي أن وجهني منذ أول شبابي إلى تعلم هذه المهنة؛ ذلك لأنها حرة لا تتعارض مع جهودي في علم السنة، فقد أعطيت لها من وقتي كل يوم - ما عدا الثلاثاء والجمعة - ثلاث ساعات زمنية فقط، وهذا القدر يمكنني من الحصول على القوت الضروري لي ولعيالي وأطفالي، على طريقة الكفاف طبعا، فإن من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) رواه الشيخان، وسائر الوقت أصرفه في سبيل طلب العلم والتأليف، ودراسة كتب الحديث، وبخاصة المخطوطات منها في المكتبة الظاهرية، ولذلك فإني ألازم هذه المكتبة ملازمة موظفيها، ويتراوح ما أقضيه من الوقت فيها ما بين ست ساعات إلى ثماني ساعات يوميا)[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٣٣).
(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص٦٧.
(٣) زاد المعاد (٢/ ٨٢).
(٤) حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه ص٤٨-٤٩.

٢ العزلة:

ومرادي بها ترك فضول مخالطة الناس على نحو جزئي مؤقت، كما قال ابن الجوزي رحمه الله: (والذي يعين على اغتنام الزمان الانفراد والعزلة مهما أمكن)[١].

و(ما ألف الإمام البيهقي كتبه العظيمة إلا حين انقطع عن الناس في بساتين قرية في بيهق، وما ألف الذهبي كتبه الكبار - كتاريخ الإسلام والسير - إلا حين انقطع في أحد البساتين في ضواحي دمشق، وما ألف ابن خلدون مقدمته العظيمة إلا حين اعتزل عدة أشهر في قلعة بني حسان في الجزائر، وما ألف الإمام ابن الوزير كتابه النادر العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ومختصره الروض الباسم، وغيرهما، إلا في انقطاع من الناس، وما كان للإمام السيوطي أن ينتج هذا الإنتاج الضخم إلا حين اعتكف وانقطع عن الناس، فلا يفتح لطارق إلا إن كان من آل البيت... واختصر الألباني صحيح مسلم في السجن، وألف الإمام السرخسي المبسوط إملاء وهو مسجون في الجب)[٢].

◊ **والشيخ/ عبدالرحمن المعلمي** رحمه الله: قضى في مكة خمسة عشر عاما متفرغا للبحث والتأليف والتحقيق[٣]، فتجاوز عدد مؤلفاته مئة وعشرين كتابا ورسالة[٤].

◊ **والشيخ/ دبيان الدبيان** - حفظه الله -: ألف موسوعة أحكام الطهارة في ١٠ مجلدات، وألف أحكام الصلاة في ١٥ مجلدًا، والمعاملات المالية

(١) صيد الخاطر ص٤٩٣.
(٢) اقرأ وارق ص٧٨.
(٣) انظر: المدخل إلى آثار الشيخ عبدالرحمن المعلمي (١/ ٨٧).
(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ١٢١).

في ٢٠ مجلدًا، وقد انقطع في استراحة بعد تركه لبريدة؛ تفرغًا للتأليف.

٣ التخطيط:

التخطيط يعين على التركيز وترتيب الأولويات، خاصة إذا كُتب الهدف بوضوح ودقة، وعُلّق في مكان بارز، وكُرّر النظر إليه مرة بعد أخرى، مع متابعة النفس عليه بجدول وقائمة للمهام المنجزة والمتبقية؛ وذلك أن على المرء العديد من الواجبات والمشاغل؛ فلا بد من تنظيمها، وتحديد الأوقات الأنسب لها، يقول الشيخ/ عبدالكريم الخضير - حفظه الله -: (من طلاب العلم من يدرك في خمس سنوات ما لا يدركه غيره في خمسين سنة، وكل ذلك أثر صناعة التنظيم والترتيب والتركيز).

التضحيـــة

قال الربيع رحمه الله:

(لم أر الشافعي آكلاً بنهار، ولا نائماً بليل؛ لاهتمامه بالتصنيف).

(المجموع ١/٣٨)

الذي يمارس البحث يدرك مقدار المشقة والتضحية التي يبذلها المرء في سبيل تحقيق ذلك، هذا مع توفر وسائل الراحة والتقنية، التي اختصرت الكثير من الجهد والوقت!! فكيف إذا استحضر المرء عظيم الجهد الذي بذله علماء الإسلام، الذين جادوا بأنفسهم لربهم ودينهم في سبيل نقل هذا العلم إلى من بعدهم، فالمداد والورق والضوء، وقلة المال، وتباعد الأقطار، ومشقة الأسفار والتغرب، وركوب الأخطار، وشظف حياتهم المعيشية، كل ذلك لم يكن ليثني عزيمتهم، ويحول بينهم وبين تحقيق المراد، بل ضحوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس، وآثروه على الراحة والنوم والطعام ومقابلة الخلان، و(جاؤوا بالعجب العجاب، الذي خضع له وأذعن لفضله الأعداء قبل الأصدقاء، وكانت همة كثير منهم أقوى من جسمه، وعزيمته أمضى من قلمه، ومن كانت هذه حاله؛ لم يعز عليه مطلب، ولم يند عنه مأرب)[(١)].

◊ **قال عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله:** (علوم الإسلام العظيم لم تدون على

(١) صفحات من صبر العلماء ص٣٩٢.

ضفاف الأنهار، وتحت ظلال الأشجار والأثمار، وإنما دونت باللحم والدم، وظمأ الهواجر، وسهر الليالي على السراج الذي لا يكاد يضيء نفسه، وفي ظل العري والجوع وبيع الثياب، وانقطاع النفقة في بلد الاغتراب، والرحل المتواصلة المتلاحقة، والمشاق الناصبة المتعانقة، والصبر على أهوال الأسفار، وملاقاة الخطوب والأخطار، والتيه في البيد والغرق في البحار، وفقد الكتب العزيزة الغالية، والأسفار، وحلول الأمراض والأسقام، مع البعد عن الأهل والزوجة والأولاد والدار، ومفارقة الأقارب والأحباب والأصحاب ونقد الاستقرار)[١].

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد[٢]

وقال الآخر:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا ... جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا

وكابدوا المجد حتى ملّ أكثرهم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبِرا[٣]

◊ **يقول ابن القيم** رحمه الله: (المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة، ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له)[٤].

(١) صفحات من صبر العلماء ص٣٦٧.
(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٦٦).
(٣) الأمالي في لغة العرب (١/ ١١٢).
(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٥).

وهذا التعب - واللهِ - سيُنسى، وسيبقى الأجر؛ فالمرء إذا تعب طوال الأسبوع، ثم ارتاح في يوم واحد، ذهب عنه ما يجده، وهكذا الدنيا مع الآخرة، كل ما سيبذله الإنسان في هذه الدنيا من تعب ومن وقت وجهد، ثم في الآخرة (يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط)[١].

◈ **هذا البخاري** رحمه الله يكابد نومه، و(يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوري السراج، ويكتب الفائدة تمر بخاطره، ثم يطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى، حتى كان يتعدد ذلك منه قريبا من عشرين مرة)[٢].

◈ **والإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله يكابد تباعد الأقطار ومشقة الأسفار، ويطوف (الدنيا مرتين حتى جمع المسند)[٣].

◈ **وهذا محمد بن يحيى الذهلي** رحمه الله يكابد الحر ودخان السراج، كما قال عنه ابنه يحيى رحمه الله: (دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة، وهو في بيت كتبه، وبين يديه السراج، وهو يصنف، فقلت: يا أبت، هذا وقت الصلاة، ودخان هذا السراج بالنهار، فلو نفّست عن نفسك. قال: يا بني، تقول لي هذا، وأنا مع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين)[٤].

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٨٠١).
(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٥٢٨).
(٣) صيد الخاطر ص٢٥٩.
(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٧٩).

◊ ومنهم من كان يكابد الكتابة في الليل حتى ذهب بصره، **كابن كثير** رحمه الله الذي (فقد بصره وهو يؤلف كتاب جامع المسانيد، فأكمله، إلا بعض مسند أبي هريرة، وفيه قال: لا زلت أكتب فيه في الليل والسراج ينونص؛ حتى ذهب بصري معه)[1].

◊ ومنهم من كان يكابد في التنقيب والبحث، **كابن تيمية** رحمه الله، الذي يقول عن نفسه: (ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير)[2].

◊ **وقال الألباني** رحمه الله: (أحيانا يأخذ الحديث مني ساعات، وأحيانا أياما، بل أحيانا أمكث أسبوعا في حديث واحد)[3].

◊ ومنهم من ضحى بكثرة المال مقابل مشروعه ورسالته، يقول **عبدالوهاب المسيري** رحمه الله: (نجحت إلى حد كبير في توظيف المال بدلا من أن يوظفني، فلم أضطر قط إلى أن أقوم بعمل يتناقض مع مشروعي الفكري أو يعوقه، ولم أعمل إلا في وظائف أقوم بتوظيفها لخدمته... ولم أشغل قط أي منصب إداري من أي نوع طيلة حياتي، فلم أعمل رئيسا للجنة أو لقسم، أو وكيلا أو عميدا لكلية، وقد عملت مستشارا ثقافيا للوفد الدائم بجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، ولكن وظيفتي مرة أخرى أصبحت مجرد إطار لتحقيق مشروعي المعرفي... وحينما عرض علي أن أعمل في هيئة الأمم المتحدة براتب ضخم، آثرت البقاء في وظيفتي، والتضحية بالراتب الضخم؛ لأن الوظيفة الجديدة كانت ستستوعب كل وقتي، كما أنها تتعارض كلية مع مشروعي)[4].

(١) البداية والنهاية (١/ ٣٣).
(٢) العقود الدرية ص٤٢.
(٣) محدث العصر ص٩٩.
(٤) رحلتي الفكرية ص١٧٥.

◈ ومنهم من كابد المرض، رغم المتاعب والآلام، فهذا الشيخ/ **عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين** رحمه الله: (أصابه ورم فأنهى كتابا في السيرة، ثم سافر للعلاج بأمريكا، وأكمل تسهيل الفقه أثناء سفره، وبعدما عاد كتب كتابا في التجويد، ونقح كتاب تسهيل العقيدة، وبعدما انتشر المرض في جسده لم يزدد إلا إصرارا على المضي قدما في إنهاء أعماله العلمية، ضاربا أروع الأمثلة في الصبر على البلاء، مع كون المرض ينافي تحمل مثل تلك المعاناة، وكان يعاني لمدة من بعض الأمراض المزمنة، مثل: آلام الركبة، وآلام القرحة، وآلام الرقبة، وآلام في مفاصل اليد من كثرة الكتابة على الحاسوب، إلى أن اشتدت به الآلام، وأدخل المستشفى، ومع هذا لم يكل عن العمل، مستصحبا معه جهازه؛ للبحث والمراجعة)(١).

◈ عند هذا يدرك المرء مقولة **يحيى بن أبي كثير** رحمه الله: (لا يستطاع العلم براحة الجسم)(٢).

◈ **و من أعظم الوسائل المعينة على اكتساب التضحية: إخلاص النية؛** فالمتأمل في سير أصحاب الكتب المؤثرة، والتي بارك الله فيها، وعظّم نفعها، يجد أن الشأن كل الشأن هو في إخلاص النية، فالمرء يكتب ويفتح له بقدر نيته وإخلاصه، وهذا هو إكسير الإنجاز، وبه سيسترخص المرء كل ما يبذله من جهد ووقت ومال، بل سيتلذذ بما يصيبه من آلام ومشاق وتضحيات.

◈ **قال عبدالفتاح أبو غدة** رحمه الله: (كثير من العلماء الذين ملأ طيب ذكرهم المشارق والمغارب، وأوتوا مواهب ذاتية فذة، وطاقات علمية نادرة، وعبقرية عجيبة مدهشة، قد نمت فيهم هذه الفضائل، وتزايدت هذه المزايا،

---

(١) تسهيل الفقه (١/ ١٣)-١٤.
(٢) صحيح مسلم (١/ ٤٢٦).

حينما شعروا أنهم يبذلونها في خدمة الشريعة وأتباعها، ونصرة الإسلام ونشره؛ فغمرهم شعور الرضا وشرف المقصد والغاية، ورأوا أن ما هم فيه من الفقر والجوع والنَّصَب، والتقشف في الملبس والمسكن، جزء من النعيم العاجل، الذي لو علم به الملوك لقاتلوهم عليه بالسيوف، فطابت نفوسهم، وجادت مواهبهم، ورأوا أن الفناء في هذه السبيل هو الطريق الأمثل لرضوان الله.. فلله درهم، ولله ما نالوا عاجلًا وآجلًا)[١].

ولن يكون لكتابتك قبول ونفع وأثر إلا بالإخلاص؛ فهذا موطأ مالك عندما صنفه قيل له: (شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب، وقد شركك فيه الناس وعملوا أمثاله، فقال: (ائتوني بما عملوا)، فأتي بذلك، فنظر فيه ثم نبذه، وقال: (لتعلمن أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله)، فكأنما ألقيت تلك الكتب في الآبار، وما سمع لشيء منها بعد ذلك بذكر)[٢].

◈ **وقال د. علي العمران** - حفظه الله -: (كتاب حراسة الفضيلة طبعت منه ملايين النسخ، إلا أن شيخنا - يقصد الشيخ/ بكر أبو زيد -لم يأخذ من أي مكتبة أو جهة فلسًا واحدًا، وهذا دأبه في عموم كتبه، وكنت قد اقترحت عليه أن يتقاضى على النسخة من حراسة الفضيلة مبلغا زهيدا، ربع ريال مثلًا، ونجعل هذا المال وقفًا لطباعة الكتب النافعة، سواء من كتبه أو كتب غيرها، لكنه رفض الفكرة في مهدها)[٣].

(١) صفحات من صبر العلماء ص٣٥٨.
(٢) التمهيد (١/ ٧٠٤).
(٣) نثار السيرة وثمار الصحبة ص١٥٨.

المداومة

قال ابن القيم رحمه الله:

(كثرة المزاولات تعطي الملكات).

(مفتاح دار السعادة ١/ ٢٨٤)

جاء في الحديث: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل**»[(١)]، فالمداومة تنمي الملكة، وتثمر الإنجازات الضخمة، **قال الجاحظ** رحمه الله: (إنما فرق بين أصحاب الصناعات وبين من لا يحسنها التزيد فيها، والمواظبة عليها)[(٢)].

اليوم شيء وغدًا مثله — من نخب العلم التي تلتقط

يحصّل المرء بها حكمة — وإنما السيل اجتماع النقط[(٣)]

ومن معاني المداومة الارتياض على العمل في كل الأوقات والأحوال والأماكن المتاحة، مع الحرص على أنفسها - إن تيسر -.

◊ **هذا القاسم بن سلام** رحمه الله مكث في كتابه أربعين سنة[(٤)]، وكذلك

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٤٦٤)، ومسلم رقم (٧٨٣) واللفظ له.

(٢) رسائل الجاحظ (٢/ ١٧٧).

(٣) بغية الوعاة (١/ ١٤).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٦).

مالك رحمه الله في الموطأ[(١)]، **والطبري** رحمه الله مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة[(٢)]، **وابن حجر** رحمه الله ٢٥ سنة في فتح الباري[(٣)]، وأقام **القرافي** رحمه الله عشرين سنة يتطلب تحرير مسألة[(٤)]، **وابن عاشور** رحمه الله في تفسيره تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر[(٥)]، **وابن قاسم** رحمه الله جمع الفتاوى خلال أربعين سنة، وقضى **ابن عبدالبر** رحمه الله أكثر من ثلاثين عاما في تنقيح كتابه التمهيد، وبذل أ.د. **بشار عواد معروف** - حفظه الله - في تحقيقه أكثر من عشرين عاما[(٦)].

◊ **وهذا الشوكاني** رحمه الله يقول عن أحد أساتذته: (كتب من نفائس الكتب بخطه شيئا كثيرا، وكنت أعجب من سرعة ما يتحصل له من ذلك، مع شغله بالتدريس، فسألته بعض الأيام عن هذا، فقال: إنه لا يترك النسخ يوما واحدا، وإذا عرض له ما يمنع فعل من النسخ شيئا يسيرا، ولو سطرا أو سطرين، فلزمت قاعدته هذه؛ فرأيت في ذلك منفعة عظيمة)[(٧)].

◊ **وهذا عبدالرحمن بدوي** رحمه الله **يقول عن نفسه**: (يكفي أن يعمل الإنسان بجد أربع ساعات في اليوم، قراءة وكتابة، إلى جانب أعماله اليومية؛ لكي ينتج أضعاف ما أنتجت، كما هو مشاهد في تاريخ الفكر العربي والأوروبي، خذ - مثلا - إنتاج كل من الطبري وابن سينا في الثقافة العربية، وقبلهما أرسطو في الثقافة الأوروبية، تجد إنتاجهم ضخما جدا بالقياس إلى كتابات غيرهم من أصحاب الإنتاج الغزير. المهم في جميع الأحوال هو الاستفادة

(١) انظر: الاستذكار (١/ ١٣).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٢).
(٣) انظر: الجواهر والدرر (٢/ ٦٧٥).
(٤) انظر: العقد المنظوم (٢/ ٦٩).
(٥) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ١٨).
(٦) انظر: التمهيد (١/ ٦)-٧.
(٧) البدر الطالع (١/ ٤٢٠).

التامة من الساعات المخصصة للعمل، وذلك بالتركيز التام، وحشد الخاطر، ثم المثابرة دون انقطاع، سواء في الكتابة أو القراءة، ولنتصور - مثلا - أن يكتب الإنسان في اليوم صفحتين أو ثلاثا، ففي خلال أربعين سنة يكون قد أنتج أكثر من مئة كتاب، وفي خلال ستين سنة يكون قد أنتج أكثر من مئة وخمسين كتابا)[١].

◊ **ويقول أ.د. بشار عواد معروف** - حفظه الله - **عن نفسه:** (ربما أنا كتبت بهذه اليد أكثر من ١٥٠ ألف صفحة، ومنذ خمسين عاما وأنا دائما أقول لنفسي كم أنجزت هذا اليوم؟ كم ضيعت من الوقت في عدم الكتابة، أو في عدم الدراسة، أو في عدم التحقيق؟ ومنذ أكثر من أربعين عاما ألزمت نفسي بأنني في كل يوم ينبغي أن أنجز ما لا يقل عن ملزمة (ستة عشر صفحة)، وكنت في بعض الأيام أنجز عشرين صفحة، حتى يكون في الغد اثنتي عشرة صفحة، أبدأ العمل الساعة السادسة صباحا ولا أقوم إلا الساعة الثانية عشرة لصلاة الظهر وللغداء وللراحة قليلا، ثم أبدأ من الساعة الثانية إلى المساء، هذا وأنا في الثمانين، أما وأنا شاب، فقد كنت أسهر الليالي الطوال، فهذا لو حسبته على طول الأيام التي يمكن للإنسان أن يعمل فيها فهذا الإنتاج قليل).

(١) عبدالرحمن بدوي فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام ص١٦٣.

الوصايا العشر

(١) مرحلة الدراسات العليا لا تقل عن ٥ سنوات من زهرة عمرك؛ فحقيق أن تتهيأ وتخطط لها.

(٢) استمتع بكتابة الرسالة العلمية؛ فهي فرصة للتحصيل وتنمية المهارات العلمية، وأن يترك المرء بعد موته علمًا ينتفع به.

(٣) إذا كانت نفسك مقبلة على الكتابة؛ فاغتنم نشاطها قبل الفتور، وأنجز كتابة صلب البحث، وكل ما يمكن تأجيله أجّله، ثم بعد ذلك عُد لإنجاز المتممات. أما إذا كانت نفسك مدبرة، فاكسر حاجز البداية بتعويد النفس على الكتابة تدريجيًا، والبدء بالمباحث السهلة.

(٤) احرص على أخذ القسط الكافي من النوم، واجعل لك فاصلًا للراحة بين جلسات الكتابة.

(٥) ليكن لك حد أدنى من الوقت للكتابة اليومية، تداوم عليه، وقفزات مكثفة بين فترة وأخرى.

(٦) تعلم أساسيات مهارات الوورد، والمحركات البحثية، والقراءة السريعة، والتلخيص.

(٧) كافئ نفسك بالمباحات عند الإنجاز؛ فهذا سيزيد من نشاطها وإقبالها.

(٨) أتقن بحثك بكثرة المراجعة والتأمل، ومشاورة المتخصصين.

(٩) احرص على الاستمرار في برنامجك العلمي، ولا تنقطع كليًا عنه أثناء مرحلة الدراسات العليا.

(١٠) المؤهلات العلمية ينبغي أن تعين المرء على الازدياد من العلم ونشره، لا أن يتوقف بعدها.

وختامًا...

فلنصدق الله تعالى، ولنقدم لأمتنا ما يبقى ذخره عند الله تعالى..

اللهم استعملنا في خدمة دينك، وارزقنا من العلم أوفر الحظ والنصيب..

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

بثّ العلـم

أهوال وأحوال

في ظل الاستعمار الفرنسي الجاثم على صدر الجزائر، والتمكين للتنصير والطرقية الصوفية، والاستيلاء على الممتلكات والأوقاف والمساجد وهدمها، وبناء الكنائس وإضعاف تعليم العربية، وإبعاد الجزائريين عن الوظائف الإدارية، وحرق الكتب والمخطوطات وإقصاء العلماء، وتتويج ذلك بإقامة احتفال بمناسبة مرور قرن من احتلال فرنسا للجزائر، ولتشييع جنازة الإسلام في الجزائر كما زعموا!!

أراد الله برحمته ولطفه أن يقيّض للأمّة الجزائرية من ينتشلها من براثن الجهل، ويبعث فيها النور والأمل، وينشر فيها العلم والتعليم؛ فكانت جهود ابن باديس والإبراهيمي رحمهما الله.

بدأ عبدالحميد بن باديس في حفظ القرآن وعمره ٥ سنوات، وأتمه وعمره لم يتجاوز الثالثة عشرة سنة، وأقبل على طلب العلم بجد واجتهاد، وأتم تعليمه بجامع الزيتونة وعمره ٢١ عامًا.

أما محمد البشير الإبراهيمي فيقول عن نفسه: (فلما بلغت سبع سنين استلمني عمي من معلّمي القرآن، وتولّى تربيتي وتعليمي بنفسه، فكنت لا أفارقه لحظة حتى في ساعات النوم، فكان هو الذي يأمرني بالنوم، وهو الذي يوقظني منه، على نظام مضطرد في النوم والأكل والدراسة، وكان لا يُخليني من تلقين، حتى حين أخرج معه وأُماشيه للفسحة، فحفظت فنون العلم المهمة في ذلك السن، مع استمراري في حفظ القرآن)[(١)].

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥/ ٢٧٣).

حمل الأمانة

عندما سافر ابن باديس إلى المدينة المنورة قال له الشيخ حسين أحمد الهندي: (إن بقاءك في المدينة لن يفيد الجزائر بشيء، ولكن عد إلى وطنك - يا بني -؛ فهو بحاجة إليك وإلى أمثالك؛ فالعلماء هنا كثيرون يغنون عنك، ولكنهم في وطنك وفي مستوى علمك قليلون، ابدأ بتعليم القرآن الكريم في كل مكان، إن الفرنسيين لن يستطيعوا منعك تعليم أطفال الجزائر القرآن، ارجع إلى بلدك لخدمة الدين والعربية بقدر الإمكان)(١).

عندها استشعر ابن باديس المسؤولية الجسيمة التي عليه؛ وقرّر حمل لواء نشر العلم وإخراج الناس به من الظلمات إلى النور؛ انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وقول رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»؛ فقال لمحمد البشير الإبراهيمي عندما أراد البقاء في المدينة وترك الرجوع للجزائر: (إن خروجك يا فلان أو خروجي يكتبه الله فرارًا من الزحف). يقول الإبراهيمي: (فوالذي وهب له العلم والبيان لقد كانت كلمته تلك شؤبوبًا من الماء صُبّ على اللهب)(٢).

(١) أيام ابن باديس ص٧٢.
(٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤/٣٣٨).

خارطة الطريق

يروي لنا الإبراهيمي تفاصيل الاجتماعات بينهما؛ فيقول: (كنا نؤدّي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي، ونخرج إلى منزلي، فنسمر مع الشيخ ابن باديس، منفردين إلى آخر الليل حين يُفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح، ثم نفترق إلى الليلة الثانية، إلى نهاية ثلاثة الأشهر التي أقامها بالمدينة المنوّرة، كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبيرًا للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصّلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صورًا ذهنية تتراءى في مخيلتينا، وصحبها من حسن النيّة وتوفيق الله ما حقّقها في الخارج بعد بضع عشرة سنة)[١].

و(كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة في تربية النشء هي: ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربّيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل). و(في هذه الفترة ما بين سنتَي ١٩٢٠ و١٩٣٠م كانت الصلة بيني وبين ابن باديس قوية، وكنا نتلاقى في كل أسبوعين، أو كل شهر على الأكثر؛ يزورني في بلدي (سطيف) أو أزوره في قسنطينة، فنزن أعمالنا بالقسط ونزن آثارها في الشعب بالعدل، ونبني على ذلك أمرنا، ونضع على الورق برامجنا للمستقبل بميزان لا يختلّ أبدًا، وكنا نقرأ للحوادث والمفاجآت حسابها)[٢].

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥/ ٢٧٨).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٢٨٠).

مشروع العمر

عاد ابن باديس للجزائر، وتفرغ للتعليم وعمره ٢٥ سنة، وشرع في شرح التفسير والموطأ وأتمه في ٢٥ سنة، ونشط في التدريس والتربية والخطابة والكتابة والشعر، وتأسيس الجمعيات والنوادي والمدارس والصحف، وشرع في تعليم الصغار والنساء، وجابه الطرقية الصوفية وحاورهم، وأرسل البعثات للخارج، ورحل وتجول في أنحاء الجزائر؛ لمعرفة الظروف والأحوال فأدرك حجم الجهل والأمية، ومن ذلك أنه زار مرة بعض القرى التي انتشر فيها الجهل؛ فقيل له: (لقد أسمعتَ إذ ناديت حيًا ولكن لا حياة لمن تنادي)؛ فردّ عليه قائلًا: (يا أخي: لا تقل لا حياة لمن تنادي، ولكن قل: لا منادي ينادي)[1]؛ فازداد همة إلى همته، وصار يلقي الدروس في كل مكان، وشعاره: (أنا أحارب الاستعمار بالعلم)[2]، وهتافه:

شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله ... أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجًا له ... رام المحال من الطلب

(١) أيام ابن باديس ص١٢.

(٢) المصدر السابق ص١٥.

استفراغ الوسع

لقد ضرب الإمامان أروع الأمثلة في الصبر والمصابرة، وبذل غاية الوسع في نشر العلم، فقد كانت دروس ابن باديس (تستغرق معظم النهار، من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء)[١]، ويقول: (أنا إن كنت في عرس علّمت المحتفلين، وإن كنت في مأتم وعظت المعزين، وإذا جلست في قطار علّمت المسافرين، وإذا أدخلت السجن أرشدت المسجونين)[٢] ويقول: (أشغالي العلمية تستغرق أوقاتي كلها والتي أضحّي في سبيلها بكل عزيز.. وهي المالكة لحياتي؛ لأني جعلت حياتي وقفًا عليها.. وإني أعلن للأمة الجزائرية كلها أنني لست لنفسي، وإنما أنا للأمة؛ أعلّم أبناءها، وأجاهد في سبيل دينها ولغتها)[٣].

ولم يكتفِ ابن باديس بنشر العلم بنفسه، بل كان يورّث طلابه نشر العلم، ويربيهم ويعوّدهم على الدعوة إلى الله، (وفي العطلة السنوية إذا أراد الطلاب أن يرجعوا إلى مناطقهم، يطلب منهم أن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله، ونشر ما تعلّموه، وعند استئناف الدراسة يطلب من كل واحد أن يقدم تقريرًا عما أنجزه)[٤].

تأمل معي في هذا الموقف الذي يجسّد شيئًا مما يختلج في صدر ابن باديس؛ فقد حمل عمار مطاطلة كتابه المقرر في درس ابن باديس، فنعس

(١) المؤتمر الخامس لجمعية علماء الجزائر ص٢٠٨.
(٢) أيام ابن باديس ص٩٢.
(٣) المصدر السابق ص٨٤.
(٤) التجربة الدعوية لابن باديس ص١٣٥.

وسقط الكتاب من يده، فقال له ابن باديس: (أتظن أنك الوحيد الذي بحاجة إلى نوم؟ أنا ما نمت إلا سويعات) ثم قال: (كيف ينام من أمته في مثل هذا الذل والهوان؟!)[١].

وهذا أحمد توفيق المدني رأى على ابن باديس علامات الفاقة والإعياء، فقال له: (يا أخي أما آمنت بأن لنفسك عليك حقًا، أما قرأت تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]؟ فأجاب في هدوء غريب: (كلا يا أحمد، ما عملت طول حياتي إلا بهذه الآية الكريمة؛ إن نصيبي هو بثّ العلم)[٢].

وقد استغرق ابن باديس في التعليم وبثّه رغم مرضه وآلامه، يقول محمد البشير الإبراهيمي: (تلقيت الخبر بموت الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله بداره في قسنطينة بسرطان في الأمعاء كان يحس به من سنوات، ويمنعه انهماكه في التعليم وخدمة الشعب من التفكير فيه وفي علاجه)[٣].

أما الإبراهيمي فقد بذل العلم بهمّة واجتهاد ونشاط أيضًا، ومما يبين ذلك قوله: (فكنت ألقي عشرة دروس في اليوم، أبدأها بدرس في الحديث بعد صلاة الصبح، وأختمها بدرس في التفسير بين المغرب والعشاء، وبعد صلاة العتمة أنصرف إلى أحد النوادي فألقي محاضرة في التاريخ الإسلامي، فألقيت في الحقبة الموالية لظهور الإسلام من العصر الجاهلي إلى مبدأ الخلافة العباسية بضع مئات من المحاضرات، وفي فترة العطلة الصيفية أختم الدروس كلها وأخرج من يومي للجولان في الإقليم الوهراني مدينةً مدينةً وقريةً قريةً، فألقي في كل مدينة درسًا أو درسين في الوعظ والإرشاد،

(١) أيام ابن باديس ص١٢٦.
(٢) المصدر السابق ص٢٥٤.
(٣) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥/ ٢٨٤).

وأتفقد شُعَبَها ومدارسها)[١].

لقد أعذر ابن باديس والإبراهيمي إلى ربهم وأمتهم، واستفرغوا غاية وسعهم في نشر العلم وبثّه، فعاشا حميدين وماتا عزيزين، فما هو عذرنا يا ترى؟!

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥/ ٢٨٣).

متن

المشوق إلى الدعوة

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، **أمَّا بعد:**

فهذا متنٌ مُيسّر للحفظ، اجتهدتُ في جَمْعِه وترتيبه وتذهيبه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث النفوس وتشوقها، وتستنهض همتها وعزيمتها؛ لبذل الوسع واستفراغه في الدعوة إلى الله والعمل للدين، فالوحي هو الذي صنع الصحابة ومَن بعدهم، وبعثهم، وغيّرهم، وأحياهم، وصاغ عقولهم ونفوسهم، وهو المعين الصافي الذي كانوا يرتوون منه (ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها)[1]، **وقد حوى المتن الأبواب الآتية:**

(١) باب الترغيب في الدعوة إلى الله والعمل للدين.

(٢) باب نماذج مشرقة في الدعوة إلى الله والعمل للدين.

(٣) باب الترهيب مِن تَرْك الدعوة إلى الله والعمل للدين.

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، ويجعله من العلم النافع الذي يُنتفع به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) الشفا للقاضي عياض ٢/ ٨٨.

باب الترغيب في الدعوة إلى الله والعمل للدين

(١) قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

(٢) وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

(٣) وقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩-٢٢].

(٤) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥].

(٥) وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

(٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١- ١١٢].

(٧) وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩-٤١].

(٨) وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

(٩) وقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾

[هود: ١١٦-١١٧].

(١٠) وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١١) وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١].

(١٢) وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦١-٢٦٢].

(١٣) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

(١٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

(١٥) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠-١٢].

(١٦) وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(١٧) وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

(١٨) وقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

(١٩) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

(٢٠) وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

(٢١) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

(٢٢) وقال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

(٢٣) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢].

(٢٤) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

(٢٥) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

(٢٦) وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

(٢٧) وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

(٢٨) وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

(٢٩) وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

(٣٠) وقال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣].

(٣١) وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢].

(٣٢) وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

(٣٣) وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الحديد: ١٠].

(٣٤) وقال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة؛ إلا من**

صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٣٥) وقال ﷺ: **«إنَّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا علّمه، ونشره»** أخرجه ابن ماجه (٢٠٠) وحسنه الألباني.

(٣٦) وقال ﷺ: **«مَن دلَّ على خيرٍ، فله مثل أجر فاعله»** أخرجه مسلم (١٨٩٣).

(٣٧) وقال ﷺ: **«لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم»** أخرجه البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦).

(٣٨) وقال ﷺ: **«إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات»** أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

(٣٩) وقال ﷺ: **«مَن غدا إلى مسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلّمه، كان له كأجر حاج تاما حجته»** أخرجه الطبراني (٧٤٧٣) وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن صحيح (٨٦).

(٤٠) وقال ﷺ: **«مَن دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»** أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٤١) وقال ﷺ: **«إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليُصلُّون على مُعلِّم الناس الخير»** أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وصححه الألباني.

(٤٢) وقال ﷺ: **«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم؛ كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا، وسقوا، وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت**

كلاً، فذلك مثل مَن فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» أخرجه البخاري (٧٩) واللفظ له ومسلم (٢٢٨٢).

(٤٣) وقال ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع منا شيئًا، فبلّغه كما سمعه**» أخرجه الترمذي (٢٦٥٧) وصححه الألباني.

(٤٤) وقال ﷺ: «**إنَّ من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم. قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم**» أخرجه أبو داود (٤٣٤١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٤).

(٤٥) وقال ﷺ: «**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إنْ أُعطي رضي، وإنْ لم يُعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشفّع**» أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٤٦) وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالًا فسُلّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها**» أخرجه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

(٤٧) وقال ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها؛ كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ مَن فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**» أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

(٤٨) وقال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**» أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٤٩) وقال ﷺ: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» أخرجه البخاري (٤٤٠٦) ومسلم (١٦٧٩).

(٥٠) وقال ﷺ: «**لا تزول قدَمَا عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل**» أخرجه الترمذي (٢٤١٧) وصححه الألباني.

(٥١) وقال ﷺ: «**سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبًا مرحبًا بوصية رسول الله، واقنوهم.** قلتُ للحكم: ما اقنوهم؟ قال: علّموهم» أخرجه ابن ماجه (٢٠٣) وحسنه الألباني.

(٥٢) وقال ﷺ: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» أخرجه مسلم (٤٩).

(٥٣) وقال ﷺ: «**إنَّ أقوامًا بالمدينة خلفنا، ما سلكنا شِعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر**» أخرجه البخاري (٢٨٣٩).

باب نماذج مشرقة في الدعوة إلى الله والعمل للدين

(٥٤) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٢-٢٣].

(٥٥) وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

(٥٦) وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

(٥٧) وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

(٥٨) وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٣].

(٥٩) وقال تعالى: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا

جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٠-٧٦].

(٦٠) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

(٦١) وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ [نوح: ١-٩]

(٦٢) وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٠-٢٧].

(٦٣) وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ

كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾

[غافر: ٢٨-٣٣].

(٦٤) وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾

[الأحقاف: ٢٩-٣٢].

(٦٥) وقال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر: ٨-٩].

(٦٦) وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾

[التوبة: ٩١-٩٢].

(٦٧) وقال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البروج: ٤-١١].

(٦٨) وقال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّاۤ يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٠-٢٦].

(٦٩) وقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

(٧٠) وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ

وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩-٢٥١].

(٧١) وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ١٨-١٩]

(٧٢) وقال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «**ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله** ﷺ: **«أو مخرجي هم؟» قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودِي، وإنْ يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا**» أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).

(٧٣) وقال ﷺ في يوم بدر: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله** ﷺ: **«ما يحملك على قولك بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «فإنك مِن أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتل**». أخرجه مسلم (١٩٠١).

(٧٤) وقال أنس بن النَّضْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في يوم أُحد «**يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم**» أخرجه البخاري (٢٨٠٥).

(٧٥) وعن الرُّبيع بنت مُعوّذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**كنا نغزو مع النبي** ﷺ، **فنسقي القوم، ونردّ الجرحى والقتلى إلى المدينة**» أخرجه البخاري (٢٨٨٣).

(٧٦) وجاء في الحديث: «**أن امرأة سوداء كانت تقمّ المسجد -أو شابًّا-، ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها -أو عنه-، فقالوا: مات، قال: أفلا كنتم آذنتموني، قال: فكأنهم صغّروا أمرها -أو أمره-، فقال: دلوني على قبرها، فصلى عليها، ثم قال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ﷻ ينوّرها لهم بصلاتي عليهم**» أخرجه مسلم (٩٥٦).

(٧٧) وعن أم عطيّة الأنصارية رضي الله عنها قالت: «**غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى**» أخرجه مسلم (١٨١٢).

(٧٨) وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «**ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علمًا**» أخرجه الترمذي (٣٨٨٣) وقال حديث حسن صحيح غريب.

(٧٩) وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في قصة الهجرة «**فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، واللهِ، ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج مَن عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: «فإني قد أُذن لي في الخروج» فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال أبو بكر: فخذ -بأبي أنت يا رسول الله- إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: «بالثمن»، قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاق**» أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

باب الترهيب مِن تَرْك الدعوة إلى الله والعمل للدين

(٨٠) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

(٨١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

(٨٢) وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

(٨٣) وقال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٦].

(٨٤) وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

(٨٥) وقال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

(٨٦) وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ [الأحزاب: ١٥].

(٨٧) وقال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٨-١٩].

(٨٨) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠].

(٨٩) وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

(٩٠) وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ٣٧].

(٩١) وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

(٩٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

(٩٣) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩].

(٩٤) وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

(٩٥) وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٤-٢٦].

(٩٦) وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

(٩٧) وقال ﷺ: «**إنَّ الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أنْ يعمّهم الله بعقابه**» أخرجه أحمد (٣٠).

(٩٨) وجاء في الحديث «**استيقظ النبي ﷺ من النوم محمّرًا وجهه، يقول: لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، فُتح اليوم مِن ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد سفيان تسعين -أو مائة-، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كَثُر الخبث**» أخرجه البخاري (٧٠٥٩) ومسلم (٢٨٨٠).

(٩٩) وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم**» أخرجه الترمذي (٢١٦٩) وصححه الألباني.

(١٠٠) وقال ﷺ: «**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشقّ تمرة**» أخرجه البخاري (٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦).

فهرس المحتويـات

المحتويات الصفحة

تم بحمد الله

